

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تشرين دمشق مرة في شهر

توزع وآت سنة ١٩٤١ م
رجب و شعبان سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفعة مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ // //

مطبعة الترقى بدمشق

في الهزيمتين

من مذكرات الاستاذ محمد كرد علي

«وهي تعد الآن للنشر»

من أجل الذكريات ذكريات الصبا وما فيه من مراح ومغامرات ، وما يتخللها من توفيق وخيبة ، قد لا يصيب المرء مثلها ، ولا يجسر على اقتحام أخطارها ، اذا قلتُ به السن ، «والذكريات صدى السنين الخاكي» كما قال احمد شوقي .
والذكريات يُجرّص على تدوينها في الغالب لما تحمل في تضاعيفها من عبر وسلوى .
وهذا تفصيل ما وقع لي عند هزيمتي مرتين ، من وجه من أراد بي سوء من عمال العثمانيين قبل اكثر من ثلاثين سنة ، وهو تدوين لا يخلو فيما أرى من طرافة وتفكيه .

ولكثر ما انهمزمت ، ووفقت في هزائمي كلها ، فأبنت عن مهارة في الهزيمة دعائي بعض الظرفاء «هزيمة» وأرادني أحد العلماء من المصريين (العلامة احمد زكي باشا رحمه الله) ان أؤسس في القاهرة مدرسة أعلم بها كيف ينهزم الخائف الذي يترب ، كما يتعلم الطلبة علوم الدين في الجامع الازهر وعلوم الدنيا في الجامعة المصرية . ولعلي كنت أجيب الطلب لو طال ذاك الحكم في بلادنا اكثر مما طال .

أقام والي سورية دعوى على جريدتي المقتبس ، واحتال لافقال الجريدة والمجلة المطبوعة قبل صدور الحكم علينا ، وبعث الى مرجمه الأعلى في الاستانة يستأذن في الموافقة على مقترحاته ، فوافقه بلسان البرق على القاء القبض عليّ واقفال الجريدة المطبوعة . وجاءني بعد منتصف الليل شابان من محلة القيمرية ، كان لأحدهما اتصال بادارة البرق عرف بالأمر فطلب اليّ ان البس ثيابي حالا وأسير معهما ،

فان الشرطة تأتي بعد حين الى داري لتفتشها وتقبض عليّ ، وكانت الأمور كما قدّرا ، وسرت معها وانا لا أعرفها وغاية ما عرّف أخي أنها مشتركان بالجريدة ومن أرباب المروءة من الشباب ، فبت ليلتي في دار أحدهما وهي دار الشيخ غزال ، وبعد أيام اكرم أهل الدار مثواي فيها انتقلت الى حيّ السويقة ، وأويت الى دار صديقي الشيخ عبد الرحيم البالي يطربني بصوته والشاهد البديع ، ثم عدت الى داري واعدت معدات الرحيل ، وقلت : مادمت مضطراً الى الاختفاء هنا في البيوت ريثما ينظر في دعواي ، وقد يطول النظر فيها عمداً ، فالأولى ان اصرف هذا الوقت في اوربا ، وكنت منذ سنين أريد الرحيل اليها للدرس والبحث فتعوق العوائق .

وفي ليل الثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٢٧ هـ ركبْتُ من دمشق يرافقتني صديقي السيد شريف نقي الدين ، وكانت بطلاً نزّالاً يعرف الطرق والمسالك والمخابى . ومن قرية القابون مررنا قبيل الفجر ، ومنها الى قري برزة فمعربا فبسيمة فدير مقرن فكفير الزيت فدير فانوت فكفر العواميد ، وفي هذه القرية بتنا ليلتنا الأولى . ومن الغد قصدنا الى سوق وادي بردى فعيّنا الفخار فكامد اللوز نجب جينين فلالا فبعلول ، وفي هذه القرية بتنا الليلة الثانية . وفي اليوم الثالث قصدنا مشغرة بلد المدايع ، وأنجدنا قاصدين جزين . وعاد صاحبي الى البلد وسرت وحدي الى تاتر فعاطور فالختارة فدير القمر وبْتُ فيها ، ووصلت الى الباروك ماراً ببيت الدين ، وكفر نبرخ وبْتُ ليلتين في الباروك ومنها سرت الى عين زحلنا فبت فيها ، ومنها الى حمانا فقرنايل فصليما وبْتُ فيها ثلاث ليال ، ومنها الى بجنس فبكفيا فبت شباب ، وقضيت في هذه القرية الكبيرة فيما أذكر ثلاث ليال ثم قصدت الى قرية الشاوية فقضيت فيها نحو عشرة أيام ، واخترت المقام في هذه القرية لأنكون على مقربة من القرية بلد الاستاذ امين الريحاني فأقضي معه بعض ساعات النهار ، ومن الشاوية نزلت الى بيروت وبْتُ في دار صديقي احمد إياس

ربما تيسر لي بعد الغروب النزول الى باخرة نساوية قبيل افلاعها بقليل .
 كان رأني في فندق دير القمر السيد صادق الكسم من تجار دمشق
 فأنكر عليّ جرأتي في رحلتي ، وقال لي ان الوالي يفتش عليك في كل مكان ،
 وكان الوالي عدوي نقل من دمشق الى بيروت ، فالأولى ان ترحل الى مصر
 براً . فقلت له هذا لا يتيسر الآن فقال : اذا تأوي الى القرى ، وتخذ من
 بيوت المعجائز مسكناً ، ولا تنزل في الفنادق ، ولا تجتمع الى الرجال ، وعلى هذا
 أردت النزول في عين زحلنا في دار عجوز ، ولما وقعت عينها عليّ بكّت ، فسألتها
 ما يبكيك يا أمّاه ؟ فقالت : كان لي ولد في اميركا مات منذ مدة وليس لي
 غيره ، وكان يشبهك بالصورة ، فلما رأيتك تذكرته . ثم سألتني عن ديني فقلت
 لها : برتستان ، ففرحت ، وقالت : وأنا برتستان وهذه التوراة ، وأشارت الى
 المنضدة ، والقس يسهر عندنا . فلما سمعت باسم القس خفت ان يجيئك تلك الليلة
 وتنكشف له حقيقي .

و كنت قرأت تاريخ الاصلاح الديني ، وعلقت في ذاكرتي شبه البرتستانتية
 على الكنيسة ، حتى لا أستطيع أن أتكلّم ساعة في البرتستانتية ولا أعرف ، إلا
 أن يكون المخاطب قساً مثلاً ، فانه اذا كان ذكياً يتجلى له أمري بعد قليل .
 فلما قالت المرأة ان القس يجيئها من الليل ، ادعيت ان غرفتها لم تعجني ، واكرمتها
 ببضعة قروش ، وخرجت الى اسفل القرية فنزلت في الفندق . وكنت صنعت اسماً
 أردت ان اتسمي به ذلك اليوم ، وهو اسم احد اصحابي المسيحيين بدمشق (خليل
 العبسي) فلما رأني صاحب الفندق وعرف اني دمشقي قال لي : ان خليل العبسي
 شريك في هذا الفندق ، وكان الآن عندي وسافر ، فحمدت الله على اني لم استمر
 اسمه ، وسألني عن اسمي فاخبرت له اسماً آخر من اسماء النصارى ، وأظنه أعفاني
 من السؤال عن مذهبي .

وفي لبنان لا بد لك ان تبوح بثلاثة وأنتك راغم : مذهبك ومذهبك ومذهبك ،

أمور كانت العرب تحوص على كتمانها . واللبثاني لتدينه يحاول ان يعرفك بما تدين ،
ليزيد أنسه بك وتبسطه معك اذا كنت على مذهبه ، ويريد ان يعرفك اذا كنت
(مقرشاً) ام لا ، فان معاملة المومر تختلف عن معاملة المعسر ، وبود ان يطلع على
مقامك عنده ليكون على بصيرة فيما يقول لك وما لا يقول . وأنا سيفي تلك الحال
لا استطيع ان اقول الا اني برتستاني ، والحكومة تطاردني ، والوالي غاضب علي ،
والأنظار ترمقني . وقد جازت برتستانيتي على من نزلت عليه ، وهو خوري الشاوية
وعلى الخورية امرأته . واتفق ان اتبع من الطريق عدة كتب من كتب
البرتستانات ، فتمت الحيلة على الخوري والخورية عشرة أيام . وكان الخوري
يراني اقرأ كتب البرتستانات ، وانا اقصد بالقراءة الا أطيل الحديث معه ، وهو
يسألني لماذا يقرأ البرتستانات كثيراً ، فأجيبه لأن رؤساءنا يوصوننا بذلك .
واقاماً لما تحيلت له كنت اطلب من الخورية ان تأتيني بزجاجة عرق ، وليس من
ينتي أن اشرب منها ، فاذا انصرفت عني أخذت قدحين وصبتهما في الحديقة ،
لأؤهمها اني تناولت من عرقها .

ودعوى البرتستانيتية ما نفعني في «بيت شباب» ذلك ان امين الريحاني قال
لي إنه زار حبيس ماربطرس قرب بيت شباب ، وهو بليس المسوح على عادة قدماء
الرهبان ، وأنه كتب فيه مقالة بالانكليزية فقلت له : وأنا اريد أن أزوره
واكتب فيه مقالة بالعربية . فقال لي : وانت في اي حال الآن ؟ فقلت له : لا بد
من زيارته ، ومن الغد استصحبت ولداً من ابناء القرية بدلني على قلابة الحبس ،
فما إن حييته حتى كان أول سؤال وجهه إلي بالطبع سؤالي عن مذهبي .
فقلت له : برتستانات ، فصاح : انت هالك ، انت هالك ، وهل انت الذي صبت عن
دينك الأصلي ؟ قلت له : جدي . قال : وهل لك راتب من البرتستانات ؟ قلت
لا ، قال : أتعرف القراءة ؟ قلت : قليلاً . قال : اقرأ الكتاب المقدس تعرف ان
لوثيروس ما قال بالبرتستانيتية الا ليتزوج ، الى غير ذلك مما أفاض فيه . واظن

معلوماته عن النصرانية لا تزيد على معلومات العامة ، وربما كانت معلوماتي يومئذ أرقى من معلوماته .

وكان الحبيس اكرمني بحفنة من التين المجفف فأخذت أتناول منه ، والغلام الذي يرافقني يجِدُني ينظره ، والغالب انهم لا يتناولون منحة القس امامه ويعملونها للبركة فقط ، كما يتبارك حجاج المسلمين بماء زمزم . وبدأ المطر ينهمر ، فلا والله ما خلصت من عظامه ، وتكفيره لي ، وتخويفي عاقبة أمري ، الا بانقطاعها ، وهرولت أنا ودليلي ، وقد اعطيت الحبيس شبه وعدٍ ان اعود الى قراءة الكتاب ، وارجع الى حجر الكنيسة . وصرّ دليلي بما سمع من وعظ الحبيس لي . وقال لي انت اعمل بصيحتة حتى أنجو من العذاب يوم الدّٰبونة . ثم قال : (يا معلمي ، شفت هذا الحبيس ؟ كان قبل ان ينقطع في صومعته يقف ساعة امام المرأة يصف شعره ويرّطله ، وكان من شباب البلد ، وخطب ابنة عمه فأبث ان تزوج به ، ولما امتنعت منه امتناعاً قطع معه أمله ، دخل في الرهبة) فقلت له : هذا قد يقع فيعشق المرأة ويخيب أمله في عشقه فلا يجد غير الرهبانية والانتقطاع الى الله عزاء له وسلوى عما شغل قلبه مدة .

صادفت في الباخرة النمساوية التي هربت عليها من بيروت ، صديقي سعاد بك مدير صحة ولاية سورية ، وشقيق حسين جاهد بك رئيس تحرير جريدة « طنين » التركية في الاسناتنة ، ومن زعماء حزب الاتحاد والترقي ومن اكبر كتاب الترك ، ومعه صديقه صلاح الدين جمجوز بك صاحب جريدة « قره كوز » الهزلية التي تصدر في الاسناتنة ، ففرح سعاد لتسكني من الحرب ، وسرته نجاتي من الوالي ، وكانت من انسابه الا انه مشهور بكرامته له ، وأحب ان ينيظه فقال لي سأكتب اليه : كيف تدعي انك كنت ناظراً للضبطية (مدير الامن العام) لمثل السلطان عبد الحميد ، وهذا عدوك يرّ من تحت لحيتك في بيروت ولا تدري به فأين معرفتك ويقظتك ؟ فرجوته ان يرجي هذا المزاح والتشفي من نسيبه على حسابي

الى مابعد اقلاع السفينة من ميناء يافا ، حتى لا يكون للوالي ولا للدولة العثمانية
يجندها وحرايها سلطان علي .

وفي هذه الرحلة قضيت في باريز أشهراً حتى برئت ساحتي ، ورجعت الى بلدي
عن طريق الاستانة . وكان الداعي الى الرحلة شراً فأنتج خيراً كثيراً .

* * *

أما الهزيمة الثانية فكانت أهم من الأولى لتشعبها وطول الطرق التي سلكتها
براً ، ولأنني كنت فيها كل ساعة معرضاً للخطر ، وقد أرسلت حكومة الولاية
بصورتي الى جميع الخافر والشكنات والمرافق في سورية لأعرف عند رجال الدرك
والشرطة فيقبض عليّ حالاً . ونوعت الأساليب حتى أعني أثري وبغم على الوالي
أمري ، وأقنعه بأنني خرجت من البلاد فما اقنعت ، حتى ان احد اصدقائي أناني
بورقة من اوراق الرسائل وبغلاف مطبوع عليها شعار البواخر الفرنسية (الميساجري
ماريتيم) وكتبت كتاباً بالريشة الدقيقة يشعر بأنني كتبت على ظهر الباخرة ، ووضع
في البريد من بيروت باسم أخي حتى بنفس خناقه قليلاً ، وبكف الطلب عني ، فلما
ألقي الى الوالي تأمله فقال : الخط خطي ، والورقة المطبوعة ورقة الباخرة ، لكنني
ما برحت دمشق . وهذا فقط أثبت انه ناظر ضبطية قديم .

لما فوجئت بهذه الدعوى الجديدة كنت راجعاً من رحلة الى المدينة المنورة
استغرقت ثلاثة وعشرين يوماً . وكان غرض الوالي من هذه الدعوى الملققة
اشتغالي بنفسي ، والراحة ، ولو أياماً قليلة ، من نقد صحفي . وكان الوالي سيف هذه
المرّة أشد نقمة عليّ من المرات السالفة ، وذلك لاعتصامه بالاتحاديين ، وكانوا
أتوا به الى سورية ليعاضدهم في انتخاب اعضاء مجلس النواب ، فعمل بما ارادوا ،
مع انه ما كان من حزبهم ولن يكون ، فرأى بذلك الفرصة سانحة للقضاء عليّ آخر
الدهر . ولما فررت أشاع في جماعة الشرطة والدرك ان كل من يأتي بي اليه حياً او ميتاً
يرقيه من جندي عادي الى رتبة « يوزباشي » مباشرة ، عندما يعطاه من مكافأة نقدية .

كنت قادماً بعد العصر الى ادارة الجريدة ، فرأيت مربية من الجند تحيط بها ، ففمزني أحد شبان حي سوق ساروجا ان ارجع ، وكنت على بضع خطوات من الباب فرجعت وتبعني فقال لي : إنا اخاك قبضوا عليه الساعة ، وهم في تفتيش الادارة . ولما رجعت الى داري وقع في قلبي ان القوة المسلحة لا تلبث ان تأتي للقبض علي . وكان الأمر كما حسبت ، فخرجت من داري سائراً على قدمي بين الحدائق لألوي على شيء ، ومعني السيد حكمة العسلي ، وانا افكر كيف اقطع نهر يزيد الحائل بيني وبين الجبل ، وكان الوقت ربيعاً ، والانهار طافحة بالمياه ، فطلبت الى فلاح هناك ان يجتاز بي النهر فمشى الى مجاز يعرفه ، وما كان اكثر تعجبه ان رأى شجرة صفصاف كبيرة قامت من جذعها وأسندت على شاطئ النهر ، كأنها جسر وُضع لأعبر عليه ، وممرت قليلاً حتى بلغت قبة السيار ، ومنها سقطت الى دمر اقصد بيت صديقي الامير عمر الحسيني ، وكان حائقاً عليّ لأنني كتبت ، او كتبت الجريدة ، تعريضاً بأخيه الامير عبد الله باشا لما قام بدعوة الجمعية المحمدية هو والسيد عبد القادر العجلاني في دمشق ، وكانت قامت هذه الجمعية بايعاز السلطان عبد الحميد ، لقلب النظام الدستوري ، وإعادة الحكم المطلق الاستبدادي ، وسيق القائمان بها الى الاستانة للحاكمه وبعد جهد جهيد كتبت لها النجاة من القتل .

قصدتُ دار الأمير عمر لأنه افرسي التبعة ، ومن المتعذر تفتيش داره ، ومع هذا احتاط وخبأني ثلاثة أيام في دار بعيدة عن داره . وفي اليوم الرابع ركبنا مع الامير طاهر ابن اخي الامير عمر من وراء جبال دُمر فبلغنا المزة وفي تلك الليلة بحثت الحكومة عني في قرية المزة ، وكبست في صالحيه دمشق دار صديقي عبد القادر بك المؤيد ، ولم تقف في المزة بل اجتزنا ارضها فقط ومنها مرنا الى قرية بلاس وهي مزرعة الامراء آل الامير عبد القادر ، فنزلت في دار الامير محمد ابن السيد محي الدين ، وامه ابنة الامير عبد القادر الكبير ، فقضيت عنده أياماً على غاية من الهناء والطمانينة ، حتي ابتاع لي الامير طاهر ثياباً بعضها من سوق الخلق

كالملطف والعباءة ، وهذه اول مرة لبست بها في حياتي ثياب غيري ، ولا سيما مثل هذه الثياب الوسخة ، وقد تكون موبوءة ، وذلك لينظلي امري على من يراني ، وكنت اطلقت لحيتي من يوم استترت ، وشعنت هندامي حتى أشبهت صورتي بعض سكان الحاضر في حماة . وكان جاءني احد اصدقائي عبد القادر أغا سكر من اعيان حي الميدان وابطال الرجال يريد ان يصحبني الى مصر فظننته هازلاً فاذا هو مجيّد ، ورجع بعد ايام يركب حصانه ، وقد ابتعت حصاناً يحملني معه ، وفي الساعة التي كانت النار تلتهم سوق الحميدية بدمشق ، والحكومة والناس مشتغلون باطفائها قال الوالي : الآن يفرّ صاحب المقتبس مغتماً فرصة اشتغالنا بهذه الفادحة ، فأمسكت عليّ محطات السكك الحديدية كلها ، وفاته ان لدمشق عشرات من المتافذ وان من اتهم تهتقي لا يهرب من طريق السكة الحديدية مادامت الأرض واسعة . ومرتنا عصر ذاك اليوم من بلاس حافظاً لصديقي الأمير محمد اجل ذكرى ، وقد كنتم وجودي في بيته حتى عن اهله وانسابه ، ومنهم من كان يكرهني ، وربما كان ينقرب من العثمانيين بدلائلهم على محبتي .

* * *

سلكنا سبيلاً معوّجاً من اول مرحلة رحلتنا من حوش بلاس ، فاجتزنا ارض المزة وبلاس والاشرفية وصحنايا والدرخية والطيبة وشقحب من قرى وادي العجم فدير العدس فالحارة من اقليم الجيدور حتى النقرة من اقليم الجولان ، وانتهينا عصر اليوم التالي الى نهر الرقاد ، ولم نهوّم في الطريق الا دقائق قليلة ، لأن صاحبي كان يوجس خيفة من ان يعرف بالامر أحد من اصحاب الحكومة فيلحق بنا الجند ، وكنا رأبنا في الليل ، والقمر ليلة البدر ، بضمة انفار من الدرك فوقفنا عليهم وشربنا ماء ، وكلهم صاحبي بلهجة مغربية فعرفوا اننا مغاربة (وسأل أحدهم في عودته عن سبب مرابطتهم هناك ، فقالوا :) ان صاحب المقتبس سينمر من هذه الأرجاء وقد امرتنا الولاية بالقبض عليه)

وتعرف صاحبي عبد القادر آغا في الجولان الى رجل نجدى اسمه عبد العزيز المحيسني يقود الى مصر مع ستة من الرعاة سبعة وسبعين جلاً ، هي ملك احد اصدقائي الحاج ياسين دياب من تجار دمشق . فذكر عبد القادر آغا للمحيسني ما وقع لي وما يتوقع من شر يصيبني اذا سقطت في يد أحد رجال الحكومة ، وانه رافقني حتى يبلغني مأمني ، فقال انه سمع بقصتي في دمشق . ومما قال له صديقي انك اذا اخذته تحسن لأهل دمشق ، وهو يحمل دراهم يعطيك بقدر ما تحب . فأجابه : نقول لي انك تحسن لأهل دمشق اذا هربته ونجا بروحه ، وتعرض علي ان آخذ منه اجرة ، ومتى كان العربي يأخذ أجراً على المعروف .

وعاد صاحبي عبد القادر آغا سكر الى دمشق وممرت على بركة الله مع جمال النجديين ، فقطعنا سهل الجولان وبتنا تلك الليلة دون عقبة فيق . واقرب مني ساعة نزولي فارس من خفراء شركة الدخان ، يحادثني ويتجيب الي ، فأزعجني بكلامه ، ولاحظت أنني متعب كثيراً فقال لي : مالك وللجمال تجر بها - ورعاة الجمال يوهمون كل انسان اني انا صاحبها - لو فحيت لك دكاناً في سوق باب البريد يلدك لعنت في نعيم ، وخلصت من هذا الشقاء ، ومن قطع الصحاري والبراري ، فتشاءبت وتناومت . فقال لرفاقي : « انه تعبان المسكين » وتركني وانصرف

ومن الغد هبطنا العقبة فأشرفنا على اراضي غور بيسان وبحيرة طبرية ونهر الأردن (الشريعة) فاجتزنا الجسر القديم المتداعي سباحة على الدواب ، ثم توغلنا الجبل الى موقع الدلايكة ، وهو بين جبلين منفرجين متآزبين ، وبتنا ليلتنا في سوق الخان بلد الصبيح على ساعتين من الناصرة . وفي اليوم الرابع دخلنا في غابة عظيمة من شجر البطم نحو ساعتين ، فبلغنا قرية دبورية ، وفي منقطع ارض هذه الدسكرة بيتدي مرج ابن عامر (سهل يزربيل) فقطعناه عرضاً في اربع ساعات حتى بلغنا قرية اللجون ، ومنها الى وادي عارة ، وطوله ثلاث ساعات ، وهو ضيق متوازي الأضلاع . وبتنا الليلة الخامسة في عيون الأساور على ساعتين من قيسارية ، واجتزنا

في اليوم السادس بقرى نابلس مثل قاقون وقلنسوة والطيرة ومسكة فبلغنا نهر العوجاء على ساعة ونصف من يافا .

وحدثني من اثنى به بعد مدة ؛ أن جماعة من اعيان نابلس وشبانها المثقفين ؛ ومعظم شبانها مثقف ؛ استصرخوا قري نابلس التي يلاحظ اتي اجتاز بها ؛ وطلبوا الى بعض سكانها اذا رأوني ان يحملوني الى مكان بعيد ؛ ويكرموا مشواي ؛ ويبعدوني عن انظار كل من له علاقة بالحكومة ؛ فكان اهل القرية من القرى المستصرخة يتندبون أناساً من شجعانهم واصحاب المروءات منهم يقفون على الطرق في الليل والنهار ، ليتقدوني من مخالب الظالمين . وباتوا بها يترصدون المعابر والمسالك أياماً وليالي حتى قرأوا في الصحف المصرية أني بلغت مصر . وهذه مروءة عربية استرق بها النابلسيون قلبي ما دمت حياً .

وفي اليوم السابع اجتزنا قري الساحل مثل جبنة ، سدود ، مجدل ، بربرة ، بير هديد ، غزة . ورأينا بعض المستعمرات اليهودية الزاهرة بالعمل والانتاج . وقضينا الليل في دير البلح . وفي اليوم الثامن دخلنا في رمال على نحو ثلاث ساعات من غزة ، وبعد مسيرة ست ساعات بلغنا محطة رفع أول حدود مصر والشام . وفي اليوم التاسع دخلنا في رمال خمسة أيام حتى قالت الاسماعيلية : ها أناذه . وكنا نسير في هذه الجفار على مقربة من البحر لا نبعد عنه كثيراً ، والرمال لا يتبدل شكلها . ذكرت هذه المراحل لأنني قطعتها على راحتي وما كنت لأقطعها لو خيرت . وقد استفدت من هذه الرحلة فائدة جغرافية وطوبوغرافية لا تقدّر . وما كان يومئذ خط حديدي يصل بين آسيا وإفريقية او بين دمشق والقاهرة ، ولا طرق معبدة تسلكها السيارات . وقصدت بتقييدي هذا تسجيل ظاهرة غريبة ، أو بدع قديم بطل ، وذكري أيام قضيتها في عالم الأباعر فاستحليتها وهي مُرّة .

* * *

قلت في محاضرة ألقيتها في الاسبوع الذي بلغت فيه القاهرة ، في فندق

ادن بالاس ، اجابة لمقترح جماعة من السوربين ، بعد ان عدت ما وقع لي منذ خرجت من بلدي الى ان دخلت الاسماعيلية ، وألمت بتاريخ ذاك الطريق الذي كان من اعمر الطرق منذ كان الاسلام : وكان رحاتي في الشهر الماضي الى الحجاز وجنوبي الشام ونزولي على اهل البادية من اهل المدر والوبر كانت مقدمة لما امتحت به هذا الشهر من مؤاكلة الاعراب في صحفة واحدة وفقدان الملعقة والشوكة والسكين والفوطه والكأس ، والاكل من طعامهم "ثمن العراق والبرغل جريش الحنطة والتمر واخبز المعمول بالملة او على الساج يسجر يبعر الأباعر، والرمال تسفو فتدخل كل ما يعمل هناك من خبز وأدم ، وماأكول ومشروب ومطبوخ ومسلق ومقلي ومعجون . ولقد حملوا لي الماء في قربة فما هي الا ساعات حتى تغير منه الطعم واللون والرائحة ، وبقيت خمسة أيام أسقى من هذا الماء وأعده نعمة بالقياس الى مياه الجفار البشعة المبهوطة ، وهي بعض ماء البحر روقتها الرمال قليلاً . وأذكر ان «خويي» المحبسي ناداني مرة ، وجمالنا مسرعة في طريقها ، وحاديها يحددو لها بصوت يذكر بنجد واهل نجد ، فالتحقت به مسرعاً ، وما انخرطنا دقائق عن قارعة الطريق حتى كنا وسط فربق من العرب فاستسقى فأنوه «بذكرة» شرب منها واعطاني فاذا بها ابن رائب ثم أرادني ان اشرب وأشرب ، وأردت ان اعطيهم شيئاً فأشار اليّ ألا أفعل . وكنت اتنى شربة واحدة من هذا اللبن كل يوم وادفع فيها جنيتها وأنا غير مغبون . وكنا مرة نزولاً على بئر أنشئ على عهد الخديوي عباس الثاني ، وعليه زبر اسمه فأناني وليد بمقطف من الطماطم (البندورة) الصغيرة فأحببت ان أعطيه ربالاً فصرخ خويي «بشلك» ثم قال لي : اذا توسعت في أكرام البدو هذا التوسع تضر بنا لأننا لا تزال نجتاز بهم طول السنة فاذا تعودوا على الكثير فنظر ان نعطي كل مرة كما اعطيت فلا يستقيم لنا بعد ذلك حال معهم . وكنت في الليلة التي نجتاز في صباحها برفح آخر الحدود العثمانية المصرية قلقاً جداً ، وقضيت ليلي وانا في هواجس أدير وأقدر . وممرت قبيل الفجر أمام قطار

الجمال وأنا أقول في نفسي : الآن فصل الخطاب فاما ان ادخل ارض مصر ناجياً من العثمانيين متمكناً بالنعم بعد هذا الشقاء ، أو اعود أدراجي وأنا في قبضة الترك الى 'مطبق من مطابقيهم' ، ألقى ما ألقى من معاملتهم الجائرة . وبعد خمس ساعات سألت المحبسي متى نبلغ رفح فقال : قطعناها منذ كذا ساعة ودفعنا عنك للجندي ثمن علة دخان لما اعترضنا قائلاً ان اخراج الخيل من الأرض العثمانية ممنوع فأقنعناه بأن هذا حصان صاحب الجمال الذي تراه . فأخذ «البشك» وهي قطعة تساوي قرشين ، ولم يمسننا بسوء ولم يحقق من امرنا غير ما رأى .

وسعدت في هذه الرحلة ان رأيت بين الشام ومصر صورة مصغرة من عيش اهل جزيرة العرب ، وذلك بالاختلاط مع تجار الجمال ورعاها ، وكلمة نجديون لا يعرفون الفضول ، وما رأيت أحداً سأل خويي عبد العزيز عني بالإشارة ولا بالعارة ، وكانوا في كل مساء وصباح يختلفون إلينا ويختلف إليهم ونشرب القهوة معاً وحديثهم في البعير وسوقه ورعيته وثمنه ورواجه وكساده . ولم اسمع في اربعة عشر يوماً بلاليتها كلمة 'هجر وبذاء ولا تجديفاً ولا لعناً ولا نعمة ولا غيبة ولا كذباً ولا منكرآ . وكان أولئك الأعراب بأجمعهم مواظبين على صلواتهم ، يتيممون بالرمل اذا اعوزهم الماء ولا يسرفون فيه اذا وجد . وأنست بلهجتهم وفيها كثير من الفصح ولها رنة تطربك .

نزلت في الخيام في الشهر الذي وقع قبل هذه الرحلة ثلاث ليال في أرض ابل على شيخ من عرب الشرور اسمه محمد ابراهيم ، وأخرى في بير البيطار على محمد ابي الفرج شيخ بني عطا ، وهذان المنزلان على مقربة من وادي موسى ، وبث ليلة في الزيزاء (الزيزة) عند صديقي فواز بن سظام شيخ مشايخ بني صفر فرأيت العيش البدوي على اختلاف درجاته ، وكان العيش في اللبنتين اللتين قضيتهما في بلاد الشراة «ديمقراطياً» وفي ارض البلقاء «ارستقراطياً» نمنا فيها على فرش الحرير محشوة بريش النعام ، وشربنا في الصبح لبن النياق .

سألني احد الأعراب اي العيش افضل لنا نحن البدو : الحضارة ام البداوة ؟
فقلت له : ابقوا على بداوتكم واقربوا من المدنية ما سمحت لكم حالتكم واياكم ان
تغفلوا عن تعليم اولادكم . واني أخاف اذا عاشرتم الحضرة فأكثرتم من عشرتهم ان
يحتلظ عليكم امركم وتخرجوا عن فطرتكم واخلاقكم الى مائتة منه حضارتنا من
النفاق والكذب والتزوير والخديعة . ولولا الغارات المتوازية عندكم لآثرت ان
اعيش في هذه الديارات بين البوادي ولو اشهرآ في السنة .

زرت في تلك الرحلة عمان والصلت والكرك ومادبا وموثة ، وجئت معان
فقصدت الى متصرف الكرك صاحبي القديم حلیم بك ابو شعر وطلبت منه ان
يُصحبني بدركي لزيارة وادي موسى فنادى دَرَكيًا واسرَّ اليه شيئًا في أذنه
واظنه قال له ان ينتبه لحديثي مع البدو وان يبيئه بخبري كله . وشكرت له لأنه
لم يقل له جئني برأسه ، ولو فعل لجلب السرور الى قلوب الاتحاديين ، القابضين
على زمام المملكة يومئذ ، ولرقيت درجته في ذاك الاسبوع الى والٍ . وانتهى
بنا السير قبيل الغروب الى عين ماء عذبة على خمس ساعات من معان فقلت للدركي :
نعشى هنا ، فاستنكر ذلك وقال : وهل يمكن هذا وبعد ساعة نصير الى قبيل
العرب فيذبجون لنا ؟ فأقنعته بأن نأكل من زادنا لأنني لا أريد ان اشق على الفقراء
فنزل واكلنا .

وفي العشاء كننا نزولاً على العربان فما ان ترجلنا حتى سمعت صوت « المهباج »
لعمل القهوة وأصواناً أخرى تنبئ بأن الخروف يذبح . فقلت للدركي : قل لم انا
نعشينا ، فقال : هذا كلام لا يسمع ، دع هؤلاء الذين تراه من الصبيان
والشبان والرجال يأكلون الليلة على جواربك (بسبك) فانهم ينتظرون قدوم الضيف
على شيخهم حتى يذبح له فيأكلون الفضلات . وانتظرنا ساعتين فخرج الخروف في
قصة صغيرة وجعلت تحته رفاق من الخبز لتت بالمرق فأصبنا منه قليلاً أرضاء لهم ،
وكننا نراه ، والقريب من القصة يتبعض للبعيد عنها ، فتسافر قطع اللحم من

فوق رؤوسنا وثعاور العظام أيدي البدو فأسمعهم وهم يعرقونها بأسنانهم كما يعرق الكلاب العظم . وخنت من تناولوا من الحروف تلك العشبة بنحو خمسين نسمة ، ولولم ننجهم لباتوا على الطوى . ولو قدرت اننا سنزل على مثل هؤلاء الأعراب بكرموننا هذا الأكرام على فقرهم لحملت اليهم من معان على الأقل بعض الثياب اكسوها بعض ابناءهم وبناتهم لأنهم كانوا اشبه بعرة .

وأعظم ماملاً نفسي سروراً في رحلتي الى المدينة المنورة ان رأيت العمران بدأ يسري بفضل السكة الحجازية ، الى بعض المحطات ، وأخذت المدينة تدخل في تلك القفار ويجري الانتفاع بالمياه المخزونة في بعض الأودية في ارواء الأرض ، فأنشئت الحقول والحدائق بعد بلدة معان ، وبدأ الأعراب هناك يتذوقون طعم السكنى ، ويتعهدون الزرع والشجر ، ولو ظل استثمار الخط الى اليوم لرأيت قرى قامت على جانبي هذا الطريق الطويل وصار للبادية ما تنبغ به وتعيش ولقامت بعد الديار الشامية حتى مدينة الرسول « هجرات » على النحو الذي قامت في بلاد نجد بفضل الملك عبد العزيز آل سعود فأغنى أهلها عن الغارة ، وعلمهم الحرث والكرث ، وحضرهم وحجب اليهم عيش المدر بعد عيش اهل الوبر .

ولاحظت في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ان جميع العناصر الاسلامية تدخل بخشوع وادب لا يكونان في أبناء العرب ، فهؤلاء يضطجعون وبأخذون حريتهم ، وبلقون بنعالم كيف اتفق ، مما لا يصدر مثله من الهنود والأفغان والجاويز والايرائيين والقوقازيين والسودانيين والأتراك ، كأن أبناء العرب يرون أن صاحب هذا القبر الشريف هو بعض أبناء عمهم او احد إخوتهم ترتفع بينهما الكلفة على ما هو الحال بين أبناء أسرة واحدة .

ونسألني وقد أتعبتك بما قصصت عليك ، وأنت هل تعبت بقطع هذه المسافر التي قطعها راكباً حتى بلغت مصر ، فأقول لك ان ربك يتلي عبادة وُيعينهم . كنت اذا ركبت دابتي الى قريتي ثلاثة ارباع الساعة أضطجع اذا نزلت عنها

ساعة او ساعتين للاستحمام ، ولم تنقص اقل مرحلة قطعناها هذه المرة عن اثنتي عشرة ساعة ، وكثيراً ما كننا نسير ثماني عشرة ساعة في اليوم ، ومبرنا في اليوم الاول اربعاً وعشرين ساعة متتابعة ، فكانت مرحلتنا الاولى كسائر المراحل غير شاقة ، وما أحسست بتعب يذكر ، وقد نكثني بنوم ثلاث ساعات تنشط عقبيها للركوب كأننا نمنا ثماني ساعات على فراش وثير ، ذلك لأن نومنا كان بالعراء على الأرض بعيدين عن المستنقعات والقاذورات . وكنت أنشط اليوم بعد اليوم وأكف هذا العيش لا اتبرم به كثيراً لأنه جديد بالنسبة لابن المدن والرفاهية .

ولما بلغت بعد ظهر اليوم الاخير من هزيمتي الثانية مدينة القاهرة قصدت الى « اسبلنديد بار » توأ ولم أكن احمل معي شيئاً الا ما عليّ من ثياب وسخة . فكان كلما جاء واحد من أصحابي الصحافيين يعنى عليه امرى ، حتى اتكلم واضحك ، أو يذكر له من سبقه اسمي الصريح ، وتجمع عليّ منهم بعد ساعتين عشرات شغلنا نصف البراني من القهوة ، والانظار تحدجنا ، والطلبان ينظرون الينا شزراً ، وكان مقهاهم وراء مقهانا ، ولعلمهم ظنوني بعض أولئك الأعراب الفارين من ليبيا ، وكانت الحرب يومئذ على ساق وقدم بينهم وبين جيوش المثنائين . واخذني حقي بك العظم فصورني بذلك الهندام العجيب ، وساقني رفيق بك العظم امامه الى داره ، فقلت له : انزل في الفندق ، فقال : ما من فندق في القاهرة يقبلك وانت على هذه الوساخة . ومن الغد خلعت حلتي ، وحلقت لحيتي ، وعدت الى قيافتي . وعندها بدأ التعب يدب في جسمي ، ولم ترجع اليّ قواي الا بعد نحو اسبوعين ، وحمدت الله على السلامة ، وأنشدت مع من أنشد « أنت يا مصر ملجأ الأحرار »

حلقة مفقودة

من سلسلة التاريخ الاسلامي

يحتاج تاريخنا الاسلامي الى معالجة دقيقة وتهذيب وتنسيق ، فكثير من البجائه ناقصة مبتورة ، وكثير من حلقاته مبعثرة متفرقة ، وكثير من مصادره لا تزال حتى اليوم في دور الخفاء ، وكثير من كتبه المطبوعة تحتاج الى تصحيح وتحقيق وفهارس علمية .

ان عدداً كبيراً من دول وامارات اسلامية لا يعرف عنها شيء الا بعد بحث وعناء ، فلو اراد الباحث ان يعرف شيئاً عن دولة بني رسول التي كانت في اليمن ، او عن السلجوقيين ، او السبكتكيين ، او الخوارزميين ، او الامارات التي قامت في بلاد الروم (الاناضول) لما عرف عنها الا شيئاً قليلاً بعد عنت كبير ، وعناء عظيم مع وجود مصادر عديدة في هذه الموضوعات . وهناك ما هو اشد خفاء ، واكثر عناء مثل البحث عن الامارات والسلطنات الاسلامية في الحبشة والسودان ، وبلاد الهند ، وايران وغيرها .

عنيت منذ خمس سنين بدراسة واسعة اسعة عن الدولة الايوبية واماراتها وعصرها وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الايوبي ، والممالك الايوبية مملكة مستقلة قامت في مدينة (حصن كيفا) وعاشت نحواً من ثمانية عشر ومئتي عام .

ومن العجيب ان تعمّر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل في سجل التاريخ ولا يشير اليها احد من المؤلفين الا عفواً

فعلامة الاسلام لم تشر اليها في بحث الايوبيين ، وبحث (حصن كيفا) ونقلت عن كتاب (شرف نامه) عبارة تدل على هذه السلطنة دلالة مهمة . فقد جاء في بحث (اوزون حسن) انه انتزع (حصن كيفا) من أيدي الاكراد

الأبوين ، وهذا كل ما أشارت اليه . ولم نر لهذه المملكة ذكراً في الاجزاء المطبوعة من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، ولا في تاريخ الحافظ ابن كثير ، ولا في تاريخ القرماني مع ولوعه باستقصاء الممالك والسلطنات والامارات . وأشار لهذه المملكة القلقشندي بما لا يشفي الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابي التعريف والتثقيف ، وكانت تقول كتاب التثقيف مضطربة مشوشة مثل تقول القلقشندي ^(١) فها لم يستندا في بحثها الى تحقيق علي ، وانما اخذا معلوماتها من افواه بعض التجار والقصاص ^(٢) وقد استطعنا ان نجمع حلقات هذه السلسلة الابوية من كتب التراجم بعد ان أعيانا البحث عنها في كتب التاريخ السياسي ، ولكننا لم نستطع التعرف الى خمسة من ملوكها وان كنا قد علمنا أسماءهم .

حصن كيفا ^(٣)

مدينة من مدن الجزيرة الفراتية ، قائمة على الشاطئ الأيمن من نهر دجلة ، وهي في منتصف الطريق تقريباً بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منها مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة في القدم ، فالغاور والكهوف التي لا تزال فيها ترجع الى ما قبل العصر الكلداني وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الإداري التركي جزءاً من قضاء العوينة في لواء ماردين (ولاية ديار بكر) وهي قائمة بين قضاءي العوينة ومدباد . وسكانها أتراك وأكراد وارمن وسوريون مسيحيون

تاريخها الاسلامي

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة الى المملكة العربية الاسلامية بين سنتي

(١) راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٣١٧ (٢) جمع قاصد وهو من تولى الحكومة لإيصال رسائلها الرسمية (٣) ملخص من معلة الاسلام ، وصبح الأعشى ، والجوم الزاهرة ، ومعجم البلدان وغير ذلك من كتب التاريخ وقويم البلدان .

(١٨ — ١٩ هـ) أيام خلافة عمر بن الخطاب . ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا تحت سلطة بني حمدان ، ثم بني مروان ، ثم بني أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) فبليت في عهدهم اقصى نفاذتها وروعيتها . وفي سنة (٥٧٩) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعد به بآمد . فلما فتحها صلاح الدين في السنة المذكورة وفي بوعده لصاحب حصن كيفا واعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الايوبية خضوعاً معنوياً مع استقلالها الذاتي . وبين سنتي (٦٢٩ — ٦٣٠) اخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود بن الملك الصالح ابي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن نغر الدين قرا ارسلان بن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقان بن ارتق . واصبحت يومئذ من المحتلكات الايوبية وفي حدود سنة (٦٣١ — ٦٣٢) اعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب فبقي فيها حتى مات ابوه فترك الحصن وتوجه الى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكاً على مصر سنة (٦٣٧) . وكان ابقى في الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم

الملك المعظم توران شاه

هو جد ملوك حصن كيفا واصلهم الذي يرجعون في النسب اليه . جعله ابوه الملك الصالح نجم الدين ايوب لما ذهب الى مصر نائباً عنه على حصن كيفا وغيرها من اعمال ديار بكر وهو يعتبر آخر ملوك مصر من الأيوبيين . ولما توفي والده الصالح نجم الدين سنة (٦٤٧) والاقرنج محدقة بالديار المصرية أخفت شجرة الدر موت الصالح أيوب ، وصارت تدبر الامر خوفاً من اضطراب البلاد ، وارسلت الى حصن كيفا تدعو توران شاه للحضور الى الديار المصرية فحضر اليها في اول

المحرم^(١) سنة (٦٤٨) فأعلن حينئذ موت الملك الصالح وملكه ابنه المعظم توران شاه . واتفق ان العساكر الاسلامية انتصرت في ذلك الوقت انتصاراً باهراً على الافرنج الواعلين في الديار المصرية فاستبشر الناس بيمين سلطانهم الجديد استبشاراً عظيماً ، ولكن الملك الجديد كان شاباً غراً منهمكاً في اللذات بعيداً عن السياسة والتدبير ، نشأ في بيئة تختلف كل الاختلاف عن الديار المصرية . ويقول الامير حسام الدين ابن ابي علي كئنا نقول للملك الصالح : لماذا لا تحضر ابنك الى مصر ؟ فكان يقول دعوني من هذا فألححتنا عليه يوماً ، فقال : اجيبه الى ها هنا أقتله ؟ والظاهر من هذا أن أباه كان لا يراه أهلاً لأن يملك على مصر ، ومن أعماله انه ارسل الى شجرة الدر زوج أبيه — وكانت قد ذهبت الى القدس ابتعاداً عنه — يهددها ويطلبها بالاموال ، فكأبست الأمراء واغرتهم به وكانت نفوسهم تغيرت عليه لتهديده لم بالقتل ايضاً فانفقوا على قتله ونفذوا ذلك ، فكان مدة ملكه على مصر أقل من شهر . فقد قدم اليها في مستهل المحرم وقتل يوم السابع والعشرين من هذا الشهر سنة (٦٤٨) هذه رواية النجوم الزاهرة ويقول ابن شاعر الكتيبي في فوات الوفيات : ان المعظم توران شاه كان قوي المشاركة في العلوم حسن البحث وانه لما دخل دمشق قام الشعراء بين يديه فابتدأ العدل تاج الدين بن الدجاجة فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا حين ارغمت للاعادي انوفاً
فأجابه المعظم بقوله :

الطريق الطريق با الف نحس تارة آمناً وطوراً مخيفاً
ولما قتل رثاه نور الدين بن سعيد بقصيدة منها :
ليت المعظم لم يسر من حصنه يوماً ولا وافي الى املاكه

(١) هذه رواية صاحب النجوم الزاهرة ، وأبو الفدا يقول انه وصل المنصورة في ٩ ذي القعدة وكانت مدة ملكه شهرين وأياماً .

ان العناصر اذ رآته مكلاً حسدته فاجتمعت على اهلاكه

الملك الموحد تقي الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه

بعد هذا الملك اول ملوك الحصن من الايوبيين المستقلين بها ولكننا لا نعرف عنه شيئاً غير ما ذكره عنه ابو الفداء في تاريخه . فقال عنه في حوادث سنة (٦٣٨) انه بعد ذهاب ابيه تورانشاه الى مصر بقي مالكاً لحصن كيفا الى أيام التتر وطالت مدته بها

الملك الكامل مجير الدين ابو بكر شادي

وهو ثاني ملوك الحصن ، ولا نعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفواً في الدرر الكامنة في ترجمة ابنه ايوب ونصه : كان المعظم لما تقرر في سلطنة الديار المصرية نقلاً من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقي الدين عبد الله فاستمر في مملكة الحصن المذكور . وتولى بعده ولده الكامل ابو بكر . وهذا كل ما عرف عنه . وفي الضوء اللامع للسخاوي ما يفيد بان اسمه شادي ولقبه مجير الدين . وفي شذرات الذهب ايضاً ما يفيد بان اسمه شادي . وقد خلف ولدين توليا بعده ، احدهما ايوب ، والآخر محمد

الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادي

وهو ثالث ملوك الحصن ، ويقول عنه في الدرر الكامنة انه استقر في المملكة بعد ابيه الملك الكامل ابي بكر فنجح في سنة ٦٢٦ فقدم القاهرة وتلقاه الملك الناصر واكرمه ، فلما رجع من الحج عارضه اخوه فخاربه فقتل ايوب هذا وولده واستولى اخوه على المملكة وذلك في اوائل سنة (٧٢٧) وذكر مثل ذلك ابو الفدا في حوادث سنة (٧٢٦) ولم يثبت حجه فيقول : وفي شعبان حضر نجم الدين صاحب حصن كيفا متوجهاً الى الحجاز ، ثم ابطل المسير الى الحجاز وسار الى عند السلطان الى مصر فأنعم عليه السلطان وأعادته فعبر على حماة وتوجه الى حصن كيفا وفيها حال

وصوله قتله اخوه ، وكان اخوه مقيماً هناك ، وملك اخوه الحصن والمذكوران من ولد تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب ابن الكامل ابن العادل ابن ايوب ، وأشار لهذه الحادثة ايضاً العمري في التعريف (ص ٣٣) ولقبه بالملك الصالح فقال : وكان آخر وقت منهم الملك الصالح ، قصد الابواب السلطانية ، فلما اتى دمشق عقبته الاخبار بأن اخاه قد ساور مريه ، وقصد بسلطته سلطانه ، فكر راجعاً ولم يعقب ، فما لبثت الأخبار ان جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكر نحو مريه رجعت ، وثب عليه اخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه ندمه ، وكتب الى السلطان^(١) فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره ، والسرائر مكدرة ، والخواطر بعضها من بعض منفرة اهـ

هذا كل ما اطلعنا عليه من اخباره ولكننا لم نطلع على اسم اخيه الذي ثار عليه وقتله وتولى بعده ، كما اننا علمنا ان نسله انقطع ما دام اخوه قد قتله مع اولاده وحينما نرجع الى تراجم ملوك الحصن لا نجد احداً يتصل نسبه بنجم الدين هذا ، وانما نرى الملك العادل فخر الدين سليمان قد ذكر نسبه هكذا : سليمان بن الملك الكامل غازي بن محمد بن ابي بكر شادى ، ومن هذا يظهر ان محمداً المذكور هو اخو نجم الدين . ولكن هل هو الذي قتله وتولى بعده ام هناك اخ ثالث ؟ والظاهر انه هو الذي تولى بعده وان كنا لا نجزم بذلك .

الملك الكامل مجير الدين محمد

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن ابي بكر شادى ، والمظنون انه هو الذي قتل اخاه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن ابي بكر شادى ، ولا نعرف عنه اكثر من ذلك

(١) وهو الملك محمد بن قلاوون تسلطن للمرة الأولى سنة (٦٩٣) فبقي ساطعاً سنة واحدة ثم خلع لصره ، ثم تسلطن للمرة الثانية سنة (٦٩٩ - ٧٠٠) فبقي سبع سنين ثم خلع نفسه وذهب إلى الكرك ، ثم تسلطن للمرة الثالثة سنة (٧٠٢) فأقام ملكاً حتى توفي سنة (٧٢١) .

الملك المجاهد شهاب الدين غازي

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا تعرف عنه شيئاً .

الملك العادل فخر الدين سليمان

وهو السادس من ملوك الحصن ، وهو ابن المجاهد غازي ، ابن الملك الكامل محمد ، ابن الملك أبي بكر شادي ، وبواسطته عرفنا اسم أبيه وجده وأبي جده^(١) ترجمه في الضوء اللامع ونقل عن ابن حجر في انباء الفهر : انه اقعد ملوك اهل الأرض في مملكة حصن كيفا (يريد اطول ملوك عصره عمراً) الا صاحب صعدة الامام الزبيدي فانه اقعد في المملكة منه . ملك الحصن بعد أبيه فدام نحو خمسين

(١) ترجمه صاحب الشذرات كما ترجمه صاحب الضوء اللامع ، ويتفق الضوء مع الشذرات في اسمه واسم أبيه وجده ولكنها يختلفان في القابهم ، صاحب الشذرات يلقب أبا بالملك الكامل غازي وزوج ما في الضوء بان لقبه الملك المجاهد لتردد هذا اللقب عدة مرات على هذه الصفة . وقد وهم في اسم (الملك العادل فخر الدين سليمان) صاحب كتاب التقيف كما نقله عنه القلقشندي في صبيح الأعشى (ج ٢ ص ٣١٧) وهم في لقب أبيه وجده ولكنه يتفق مع الشذرات والضوء في اسميهما . ففي التقيف أن الذي اتضح له آخرأ في رمضان سنة (٧٧٦) أن صاحبها (أي حصن كيفا) الملك الصالح سيف الدين أبو بكر بن الملك العادل شهاب الدين غازي ابن الملك العادل مجد الدين محمد ، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر .

فيوافق أن أبا شهاب الدين غازي وجده مجد الدين مجدأبا جده أبو بكر ، ولكننا نراه يخالف في القابهم الملوكة ، فيلقب الأب والجد بالملك العادل ثم يستشكل كيف أن أبا وأبيه يكونان بلقب واحد ولكن الوهم الذي وقع فيه هو الاسم الأول وهو — الملك الصالح سيف الدين أبو بكر — لأن الذي كان ملكاً سنة (٧٧٦) هو الملك العادل فخر الدين سليمان بن الملك الكامل غازي صاحب هذه الترجمة لانه توفي سنة (٨٢٧) وجاء في ترجمته أنه بقي ملكاً نحو خمسين سنة فإذا طرحنا واحداً وخمسين من سنة وفاته فانه يكون ملكاً سنة (٧٧٦) ومما يكن فصاحب التقيف مشكك فيما ذكره والصواب ما حققناه . راجع صبيح الأعشى ج ٢ ص ٣١٧ .

ووم القلقشندي أيضاً في صبيح الأعشى إذ قال : الذي أخبرني بعض قصاد صاحبها سنة (٧٩٦) أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود وذكر لي لقبه فنتسبته اه والصواب أن اسم الملك يومئذ هو سليمان بن الملك غازي .

سنة ، وشكرت سيرته ، وحسنت ايامه وله فضائل ومكارم وادب وشعر واعتناء
بالكتب والآداب . ويقول صاحب الشذرات انه تسلطن في الحصن بعد موت ابيه
وحسنت ايامه وكان مشكور السيرة محبباً للرعية مع الفضيلة التامة والدكاء والمشاركة
الحسنة وله نظم ونثر وديوان شعر لطيف ومن شعره :

أربعان الشباب عليك مني سلام كلما هب النسيم
سروري مع زمانك قد تناءى وعندي بعده وجد مقيم
فلا برحت لياليك الغوادي وبدر التم لي فيها نديم
بغازلي بفتح والحيا يضيء وثغره در نظم
وقد مثل لدن ان ثنى وربقته بها يشفى السقيم
اذا مزجت رحيق مع رضاب ونحن بلبل طرته نهم
ونصبح في آله العيش حتى تقول وشائنا هذا النعم
ونزنع في رياض الحسن طوراً وطوراً للتعانق نستديم

ويقول القلقشندي ان بعض قصاص حصن كيفا ذكر له ان الملك سليمان يقول
الشعر واحضر معه بيتاً مفرداً من نظمه وهو :

وجارية تعبر البدر نوراً ولولا نورها عاد الظلام

فنظم القلقشندي اياتاً وبعث بها اليه صحيفة فاصده وأولها

سليمان الزمان بحصن كيفا له في الملك آثار كرام
زكا اصلاً فطاب الفرع منه وطاب الفصن اذ طاب الكمام
بنو ايوب ابقوا منه ذخراً ونعم النخز والقييل الهام
وجارية تعبر البدر نورا ولولا نورها عاد الظلام

توفي الملك العادل سليمان سنة (١٢٢٧) بعد ان ملك نحواً من خمسين عاماً

الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل سليمان

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا وأعمالها من ديار بكر وليها بعد أبيه في سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة محبباً لرعيته لوفور عقله وسياسته وديانته مع فضل وميل زائد الى الأدب ومشاركة في فنون وكرم وثجاجة وظرف ذكره ابن حجر في انباء الغرر ، وقال انه خرج في عسكره للملاقاة السلطان^(١) على حصار آمد فاتفق انه نزل لصلاة الصبح فوق به فريق من التركان فأوقعوا به على غرة فقتل وذلك في شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بحصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه انه كان فاضلاً اديباً له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نوائح في أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك وانه كان جواداً محباً للعلماء ومن نظمته :

بدا حيي وقد خضب اليمين فأتلف مهجتي بالحاجبين
وبين التوم والجفن اختلاف كما بين الذبيء أهوى وبيني
توفى يا حبيب القلب واعطف لنعم بالرضا عيني بعيني
إذا [ما] رمت سلواً إلى قلبي يجرجره الجمال بقائدين
وان اذنبت ذنباً يا غزالي أرى لك عند قلبي شافعين
يعنفني فؤادي كيف اسلو مليحاً ساكناً في الناظرين
بذوب القلب مني حين يضحي شروداً للغرام محركين
فزرتني يا حبيبي تلقى اجراً ودس فضلاً على رأسي وعيني

انتهى عن الضوء والشذرات

(١) هو السلطان الأشرف برساي الدقاق الظاهري تولى مملكة مصر والشام سنة (٨٢٥) وتوفي سنة (٨٤١) خرج سنة (٨٣٦) بالساكر المصرية والشامية لقتال الأمير التركاني عثمان قرايوك صاحب ديار بكر وآمد وماردين فعاصره في آمد شهراً ثم صالحه .

الملك الكامل خليل بن الملك الاشرف احمد

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن . وهو خليل بن احمد بن سليمان بن غازي ابن محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل ابو المكارم . استقر في مملكة الحصن بعد قتل والده سنة (٨٣٦) وكان محباً للعلماء خصوصاً الشافعية ، وسار في بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الخافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وان له نظماً وأنه ارسل بدبوان من شعره على عادة ابيه الى الديار المصرية فقرظه له الادباء ومما انتقاه ابن حجر من ديوانه

بانوا فأجروا عيوني من بعدم كالعيون
في حبيهم مت عشقاً ياليتهم قبولوني

وكتب اليه الكمال بن البارزي يمدحه

أبجر الشعر ان غدت منك في قبضة اليد

غير بدع فانتما للخليل ابن احمد

وثب عليه ابنه ناصر فقتله في ربيع الاول سنة (٨٥٦)

الملك العادل ناصر بن خليل بن احمد

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقي نحو سبعة أشهر ثم ثار عليه ابن عمه حسن بن عثمان بن الملك العادل سليمان فقتله ثاراً لأبيه

الملك الكامل احمد بن خليل بن احمد بن سليمان

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل اخوه ناصر اباهما الملك الكامل خليل فر خوقاً من أخيه الى جهانشاه ملك تبريز ، فلما ثار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكاً على الحصن فبقي فيه ملكاً نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة في بلاده وتقلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد ففر الى قلعة ارغيس

من معاملة الحصن ثم الى بغداد ثم الى مصر فأكرمه عتيق جده مرجان العادلي مقدم المالك وتوفي في مصر أيام الملك الظاهر خشقدم

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن احمد

وهو الحادي عشر من ملوك حصن كيفا تار على ابن عمه الملك الكامل احمد في حدود سنتي (٨٥٨-٨٥٩) ففر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقي مالكا سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فنار عليه أبناء عمه : زين العابدين ، وابوب وعبد الرحمن أبناء علي بن محمود بن العادل سليمان فقتلوه وولده هارون في حدود سنة (٨٦٥) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفي سنة (٨٦٧) وكان العادل شجاعا مقداما ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد . واليه الاشارة بقول الصدر بن البارزي مما كتب به اليه .

قالوا بموت الكامل الحصن وهت وعزها قد حاد عنها وصدف
فقلت ان كان مضي كاملها فان فيها خلفا عن من سلف

الملك الصالح زين العابدين

وهو الثاني عشر من ملوك الحصن تار هو وأخوه ابوب وعبد الرحمن أبناء علي ابن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقي ابوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أزون حسن) بن قرايلوك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبرا في ذي القعدة سنة (٨٦٦) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية

هذه خلاصة ما اطلعنا عليه من اخبار هذه السلالة ، واكثرها لا بعدو كونه تراجم ، ولكنها مجموعها تعطينا فكرة قيمة عن هذه الامارة ، وبعد ذلك نتساءل لماذا كانت اخبار هذه الامارة غامضة في اول نشأتها فلم يعرف عن احوالها الا النزر

اليسير ، ولماذا لم يعرف شيء عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب في ان المؤرخين اخذوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجري ؟

اني ارى ان صغر هذه الدولة وضعفها كان له اكبر الأثر في ذلك ، يضاف اليه ان هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعي في اعتلاء عرش المملكة في مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (ممالك جدملوك حصن كيفا) مقتنبة لعرش الأيوبيين ، وهاضمة لحقهم ، ومنكرة لتعنتهم ، وعاقبة لولائهم .

لذلك كان من المعقول ان لا يجرأ احد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن الا رمزاً خوف تنبه الأفكار اليها ، بخلاف ملوك حمص وحماء التي بقيت امارتهم مستقلة استقلالاً ادارياً في عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبغة قانونية في حق العرش ولم يسبق لأحد من اجدادهم ان امتلك دمشق او حلب او مصر ، وهي العواصم الكبيرة التي كان يقوم في كل منها مملكة ايوية كبرى

لذلك كانت ابناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر في دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة ايضاً

ولما التقى جيش التتر بقيادة كتبغا مع الجيش المصري الذي يقوده الملك المظفر قطز كانت قد انضم الى جيش التتر الملك السعيد حسن بن الملك العزيز عثمان ، والملك الأشرف موسى صاحب حمص — حرصاً على بلادهما من تدمير التتر لها — ولما اسفرت المعركة عن انتصار الجيش المصري وانهزام جيش التتر حضر الملك السعيد الى الملك المظفر قطز ليعتذر اليه فأمر قطز بضرب عنقه فضربت ، وارسل الملك الأشرف صاحب حمص الى قطز يطلب منه اماناً على نفسه وبلاده فأمنه وأقره عليها

فان كان الانضمام الى التتر يعد جريمة وخيانة لا تغتفر فلماذا ينتقم من الملك السعيد فتضرب عنقه ، ويعفى عن الملك الأشرف وتعطى له بلاده ؟

ليس لهذا سبب في نظري الا ان الملك السعيد هو من يحق له ان يطالب

بعرش المملكة لأن جده هو الملك العادل اخو صلاح الدين فلذلك حكم عليه بالقتل
تخلصاً من مضايقته

ونرى الملك الظاهر ييبرس يمتثال على الملك المغيث صاحب الكرك ثم يلقي
عليه القبض ويتهمه بأشنع التهم ويقتله شر قتله ، وليس لهذا من سبب الا انه كان
احق الناس بتاج مصر

ومحدثنا التاريخ ايضاً بأن الظاهر ييبرس لما رأى الناس يلهجون بذكر الملك
القاهر بن الملك العظيم عيسى ملك دمشق اغتاله بسم وضعه في نبيذ قَيْن^(١) سقاه منه
ولم يقف الامر بالظاهر ييبرس عند هذا الحد بل عمد الى أعظم حيلة تسقط حق
الايوبيين من عرش بلادهم ، فأعاد الخلافة العباسية في مصر ، لأن الخلفاء العباسيين
في نظر الناس هم اصحاب الحق في حكم العالم الاسلامي اجمع ، والدول والملوك الذين
يحكمون في البلاد انما هم نواب عنهم ، واصبح الملك الظاهر نائباً في الحكم عن الخليفة
العباسي ، وبذلك لفت انظار الناس عن الايوبيين الى الخلافة العباسية الوهمية وكاد
للايوبيين مكيدة لم تقم لهم قائمة بعدها

هذه كلها (في نظري) اسباب منعت المؤرخين أن يذكروا احداً من ملوك حصن
كيفاً خوفاً من بطش المماليك ، حتى اذا استقرت قواعد دولة المماليك في البلاد ،
ونسي الناس عهد الايوبيين ، وانتقلت عرش الملك من المماليك البحرية ، الى المماليك
الشرابية استطاع المؤرخون ان يذكروا هذه الدولة ويؤرخوا لملوكها ، ولكن
أسلوب كتب التاريخ كانت قد تغير واصبح طراز كتبها منذ القرن الثامن الهجري
مثل كتب التراجم تجمع بين العلماء والوجهاء والملوك والامراء والتجار الخ ، كما فعل
الحافظ ابن حجر ، والسخاوي ، وابن العماد ، وبذلك استطعنا ان نجتمع حلقات هذه
الدولة المبعثرة وان نبعث تاريخها من جديد ولعل الباحثين من العلماء والمؤرخين يرشدونا
لما لم نطلع عليه فنكون لهم من الشاكرين

محمد ابراهيم دهمان

(١) نبيذ يتخذ من ألبان الخيل ينى بشره الترك والتتار .

غريب الحديث

لا تعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً يسامي الكلام النبوي او يدانيه ؛ فصاحةً مبنى وبلاغةً معنى ، وجمال أسلوب ، وجلال قدر ، وبراعة تركيب ، وروعة تأثير ، وانه لكما يقول شيخ الكتاب ابو عثمان الجاحظ « لم يسمع الناس بكلام قط ؛ اعم نفعاً ، ولا اصدق لفظاً ، ولا اعدل وزناً ، ولا اجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا احسن موقعاً ؛ ولا اسهل مخرجاً ، ولا افصح عن معناه ، ولا ابين عن غواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم » ورب قائل يقول : اذا كانت الامر على ما وصفت فن أين نسلت الغرابة الى بعض الفاظه ، وتطرق التعقيد الى بعض معانيه ، والغرابة لا تاكن الفصاحة ، والتعقيد لا يجاور البلاغة ، فنحن نقول ان الكلام النبوي منزّه عن التعقيد ، والغرابة بالمعنى الذي يريده المتأخرون من علماء البيان . لأنهم لا يريدون بذلك الا الخروج عن جادة المألوف من الألفاظ بالنسبة الى المتكلم والمخاطب فاذا كان اللفظ من مألوف المخاطبين فليس لأحد ان يسمه بسمة الاغراب . او يصحه بوصمة الابهام ، وان كانت غير مألوف عند غير المخاطبين به من الناس . اذ الاعتبار — في هذا الباب — مقصور على من يتوجه اليه الخطاب ، دون غيره . ولو ذهبنا في تفسير الاغراب والتعقيد عند البيانيين غير هذا المذهب ، وقلنا من شرط الفصاحة في الكلام ان يكون عارياً من كل لفظ غير مألوف للناس اجمعين في كل زمان ومكان ، لما وجدنا كلاماً متكلم من عرب الجاهلية وصدر الاسلام يستحق ان تخلع عليه حلة الفصاحة ضافية او غير ضافية . لأننا لا نعرف لهم كلاماً منشوراً او منظوماً يخلو من الفاظ غير مألوفة بالنسبة للاجيال المتأخرة تدفع السامع او القارئ منهم الى استنطاق دواوين الادب ومعاجم اللغة ، والاستنجاد بالشروح والتعليق .

والحقيقة ان الغرابة نسبية تختلف باختلاف الناس والزمان والمكان ، فرب لفظ

يكون شائعاً دائماً عند قوم ؛ وعدم الاستعمال قليله عند آخرين . ورب لفظ يكون معروفاً مألوفاً في زمان او بلد ، ومنكوراً مجهولاً في زمان او بلد آخر ، على ما ألعنا اليه في بحث مفردات القرآن .

هذا واعلم ان النبي (ص) كان يشافه العرب وبكائهم أفراداً وجماعات ، وكانوا على ما تعلم من اختلاف اللحن واللغات ؛ وتباعد المواطن واللهجات . وكان يخاطب كل قوم بلغتهم ، وعلى اسلوب تفاهمهم ، وان كان ما يكلمهم به غير معروف تمام المعرفة عند قومه واهله ، بل قد تجهله قبائل معد كلها . فقد روي ان علياً كرم الله وجهه قال للنبي (ص) وقد سمعه يكلم وفد بني نهدي بلخهم : يا رسول الله نحن بنو اب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره . فقال له « ادبني ربي فأحسن تأديبي » .

ومن يرجع الى أسفار الآثار ، ويقف على تلك الرسائل التي كانت يبعث بها النبي (ص) الى بعض قبائل العرب غير العدنانية بأخذه العجب مما أوتيته الرسول الكريم من البسطة في البلاغة ، وسعة الاطلاع على مختلف لغات القبائل وأساليب مخاطبتها . وبعد فاذا وجدنا في كلامه شيئاً مما لم يكن مألوفاً في لغات الجمهرة من قبائل مضر ، فلا نخمك على هذه الالفاظ بالغرابة المطلقة ، بل علينا ان نبحث عن مواردها ، ونقف على ما تكشفها من زمان ومكان . وبذلك نصل الى انها قيلت في موضعها ، ووقعت في موقعها ، بحيث لو حل محلها غيرها مما نسيه مألوفاً الآن لوسم بسمة الاغراب والانداز .

ثم ان كثيراً من الكلام النبوي نقل الينا بالمعنى ، دون الالفاظ ، والنقلة اكثر من ان يحصوا ، وهم مختلفو الانتساب قبيلة وبلداً ، منهم القرشي ، والكناني ، والبكري والتغلي . ومنهم الهمداني والكندي ، والقضاعي ، والزبيدي . ومنهم المكي ، والمدني ، والحضرمي . الخ .

فاذا نقل أحدهم الحديث بالمعنى كان اللفظ له ، وعلى اصلوب كلام قومه ،
أو أهل بلده .

ومن هنا ينكشف لنا السر في ورود بعض الاحاديث على نمط لم يكن مألوفاً
في لغة اهل الحجاز ، وان كان الخطاب معهم ، وما ذلك الا لأن اللفظ لبعض
الرواة وهو غير حجازي القبيلة او البلد . وهذا هو السر ايضاً في ان المتقدمين من
النحاة لم يجعلوا الحديث أساساً في الاستشهاد لتقرير قواعد النحو واستخراج مسائله ،
وأول من وسع دائرة الاستشهاد به ، وعول عليه في اثبات القواعد وتقرير المسائل ،
امام المتأخرين من النحويين محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي (المتوفى سنة ٦٧٢) هـ
والحق معه لأن المتقدمين الاولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في
العربية . فاذا ابدلوا بعض الفاظ الحديث بألفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم
خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها .

ولنرجع الى ما نحن بصده من الكلام في تاريخ علم غريب الحديث فنقول :
اول من جمع في هذا العلم شيئاً ابو عبيدة معمر بن المثنى ، جمع فيه كتاباً صغيراً
ذا أوراق معدودات . لانه مبتدئ ، ولأن في الناس اذ ذاك بقية ، وغصن اللغة لم
يزل وريقاً . فلم تكن الحاجة ماسة الى الكثير مما يعده المتأخرون غريباً ، لأنه
لم يكن اذ ذاك بالغريب .

ثم جاء النضر بن شميل المازني فجمع في ذلك كتاباً اكبر حجماً من كتاب ابي
عبيدة . وأوسع فيه الشرح والايضاح ، ولكنه لم يخرج عن ان يعد من المختصرات .
وألف الاصمعي كتاباً اربى فيه على كتاب ابي عبيدة من حيث المادة والتبسط
في البيان والتوضيح . ثم ان كثيراً من أئمة اللغة جمعوا طوائف من الاحاديث ،
وتكلموا على لغتها ومعناها . وهم في الغالب يتواردون على الحديث الواحد ، فيشرحه
كل على قدر مبلغه من العلم ، ولم يكدهم ينفرد عن غيره بالشئ المهم .

وغير الناس على هذا الى ان جاء ابو عبيد القاسم بن سلام فألف كتابه المشهور

في هذا الموضوع ، وجمع فيه من الاحاديث والآثار ما لم يجتمع في كتاب من قبله .
وقد روي عنه انه كان يقول : جمعت كتابي هذا في اربعين سنة ، فهو خلاصة
عمري ، وقد انتشر هذا الكتاب وذاع صيته لذلك العهد ، واعتمد الناس عليه
في موضوعه .

فلما كان عصر عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ورأى ما عليه الناس
من الاعتماد على كتاب ابني عبيدة ، ووجد ان هذا الكتاب لم يأت على معظم الاحاديث
واكثر الآثار التي تحتاج الى الايضاح والتبيين — عمد الى تأليف كتاب جمع فيه
ما غفله ابو عبيد في كتابه ، ونحا فيه مانحاه من طريقة التفسير والشرح . وكان
ابراهيم بن اسحاق الحربي معاصراً لابن قتيبة فألف كتاباً واسعاً جمع فيه الشيء
الكثير من الاحاديث والآثار . وبسط القول وأطال الشرح ، ولكن الناس زهدوا
في هذا الكتاب لأن المؤلف اطاله بذكر الاحاديث بطرق اسانيدها وذكر
متونها من اولها الى آخرها . وان لم يكن في بعضها الا الكلمة والكلمتان مما يحتاج
الى الشرح والتفسير .

ثم نتابع الأئمة على التأليف في هذا العلم واقبلوا عليه ايما اقبال ، فقلما نجد كبيراً
من كبراء اهل العلم الا وله شيء في هذا الباب . مثل شمر بن حمدويه ، وابي العباس
ثعلب ، وابي العباس المبرد ، وابي بكر الانباري ، وابي عمر الزاهد وغيرهم .
ثم جاء الامام ابو سليمان احمد او (احمد) بن محمد الخطابي البستي (المتوفى سنة
٣٨٦) فألف كتاباً سلك فيه مسلك ابني عبيد وابن قتيبة ، ولكنه قصره على ذكر
ما لم يورده في كتابيهما ، فجاء كنعنو من احدهما حجماً .

ومضى الناس زمناً يتداولون هذه الامهات الثلاث ويعولون عليها في بابها ، ولكن
هذه الكتب وما قبلها — ما عدا كتاب الحربي — لم تكن مبنوية تبويغاً يسهل
على الناس المراجعة . وفي هذا ما فيه من العناء على المراجعين ، فاذا اراد المرء معرفة
كلمة غريبة وردت في احد الاحاديث لا يهتدي اليها الا بعد جهود كثيرة

زيادة على انه لا يدري ان الحديث المطلوب في اي الكتب الثلاثة هو ، فيحتاج الى استقراءها واحداً واحداً . فلما كان عصر ابي عبيد احمد بن محمد الهروي — وكان معاصراً للخطابي — ألف كتابه المشهور في غريب القرآن والحديث ، ورتبه مقفى على حروف المعجم ، على ما قلناه في مفردات القرآن . وقد جمع في كتابه هذا ما في كتاب ابي عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، وازاد الى ذلك ما تتبعه بنفسه مما لم يرد في كتب من تقدمه .

ثم جاء الامام العلامة محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨) فألف كتابه «الفائق» ورتبه على حروف المعجم . ولكنه كان عندما يريد شرح كلمة غريبة من حديث يشتمل على اكثر من كلمة غريبة يورد الحديث كله او بعضه ويشرح كل ما فيه من الغريب . وبذلك يشرح كثيراً من الكلمات في غير حروفها ، فيعسر على المتنوع العثور على مطلوبه بالسرعة ، ولذلك لم يشتهر كتابه اشتهار كتاب الهروي ، مع ما أودعه فيه من الحقائق اللغوية والتدقيقات العلمية .

وجاء ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فألف كتابه في الغريبين ، جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث على ما علمت في الكلام على غريب القرآن .

وألف ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتاباً في الغريب نهج فيه نهج الهروي . بل هو كال مختصر منه .

وكان من معاصريه العلامة المحقق ابو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الشيباني الجزري (المتوفى سنة ٦٠٦) فرأى ان احسن ما يرجع اليه في هذا الشأن كتابا الهروي وابي موسى المذكورين . وقد رأى ان الانسان اذا أراد كلمة غريبة يحتاج الى ان يتطلبها في احد الكتابين فان وجدها فيه والا طلبها من الكتاب الآخر . وهما كتابان كبيران في مجلدات . فعمد الى جمع ما فيها من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن . وأضاف كل كلمة الى اختها في بابها تسلياً

لكلفة الطلب ، وقد ضم اليها الشيء الكثير مما لم يوفقا اليه من غرائب الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المدونة في اول الامان واسطه وآخره ، ومن كتب اللغة على اختلافها . وقد سلك طريقة الكتابين المذكورين في الترتيب والتبويب على حروف المعجم ، ملتزماً الحرف الاول والثاني من كل كلمة ، واتباعها بالحرف الثالث منها ، ناظراً الى الحروف الأصلية من الكلمة دون الزوائد الا انه كثيراً ما يعتبر الحروف الزائدة في اوائل بعض الكلمات بمثابة الحروف الاصلية ، تسهيلاً على الطلاب ولا سيما الذين لا يكادون بفرقون بين الاصل والزيادة . على انه عندما يذكر ذلك ينبه على أصل الكلمة ، لئلا يظن ظان ان الزائد اصلي فيحتلط عليه الأمر .

واسمى كتابه هذا « النهاية في غريب الحديث والأثر » وهو اجل كتاب ألف في هذا العلم واجمه وعليه الاعتماد في فنه . وقد صار مادة لمؤلفي المعاجم اللغوية من بعده . ولا نعرف ان أحداً ألف بعده كتاباً يساويه او يقاربه غير ان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ كان قد لخص هذه النهاية في كتاب اسماء (الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير) . وقال انه ضم الى كتابه هذا كثيراً مما فات صاحب النهاية . ومن وقف على النهاية ثم وقف على هذا الكتاب لم يرق لنظرة الرجوع اليه مرة أخرى ، لأن جلال السيوطي بتلخيصه هذا ذهب يروني الاصل وجماله ، وضيق منه واسعاً فسيحاً . هذا وانما تراحت افلام اهل العلم في باب غريب الحديث اكثر من ازدهامها في باب مفردات القرآن . لأن الاحاديث والآثار فسيحة الرقعة منتشرة الاطراف ، واسعة الارحاء . وقما توفق العالم المبرز الى استقصاء اكثرها . فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيراً مما فاتته . ثم يأتي ثالث فيستدرك على الثاني وهكذا على ما علمت فيما مر . بخلاف القرآن الكريم فانه مجموع بين دفتين ، متواتر بكل ما في معنى التواتر من قوة . وبهذا يسهل على اهل العلم استقصاء كل ما فيه من المفردات . فلم يبق الا اختلاف انظارهم في تفسير بعض الكلمات ، واختلافهم

في ايجاز الشروح او الاطناب فيها ، واختلاف اذواقهم في الترتيب والتبويب ، والتنقيح
 والتهذيب ، وهذه امور ليست من الصعوبة بمكان . بخلاف ما يعانيه المؤلفون في
 غريب الحديث من تتبع الكثير ، والاستقراء الواسع ؛ هذا ابن الاثير بعد ان
 وقف على ما وقف عليه من جهود العلماء في هذا الباب ، واستقرى ما وصل اليه جهده
 من المصنفات الكثيرة في الحديث والآثار ، تجده مع ذلك كله يقول في خطبة
 نهايته : « كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها احاديث رسول
 الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعيهم جعلها الله ذخيرة لغيري يظهرها على يده
 ليذكر بها . ولقد صدق القائل : كم ترك الاول للآخر .
 يقول هذا وهو من هو في غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وطول الباع ، في
 علوم الشريعة وفنون الآداب .

طه الراوي

من ذخائر قبلة الملك الظاهر

تاريخ علماء اهل مصر لابن الطحان

مجموع ١١٦ (١٢)

اسم الكتاب والمؤلف : —

و : ١ : الجزء الأول [والثاني كما في و : ١٧] من تاريخ علماء اهل مصر

تأليف أبي القاسم يحيى بن علي بن محمد بن ابراهيم الحضرمي المعروف بابن الطحان .

سمع المؤلف الحديث قبل سنة ٣٦٨ كما ورد في ترجمة صالح بن علي الحصري (و : ١٨) وتوفي سنة ٤١٦ كما في كشف الظنون في مادة تواريخ مصر ٢٣٢/١ وفي فهرس معجم البلدان طبعة وستنفلد ٦/٧٦٨ . ولم نعثر للمؤلف على ترجمة ويقول بروكلمان ان له ترجمة في (Wustenfled: geschichte ص ١٨٠) .

وصف موضوع الكتاب ومحتواه

ذكر ابن خلكان (١/٢٧٨ من طبعة سنة ١٣١٠) وصاحب كشف الظنون ٢٣٢/١ ان لابي القاسم الحضرمي ذيلًا على تاريخي ابن يونس الصدي (— ٣٤٧) وأحد هذين التاريخين كبير لاهل مصر والآخر صغير للغرباء الواردين اليها . ويخيل من اسم كتابنا انه ذيل على تاريخ اهل مصر الكبير . والحق انه ذيل على الاثنين لأن فيه تراجم علماء غرباء مروا بمصر كابن عبدربه (و : ١٣) .

ويتفق هذا مع ما ذكر ابن خلكان (١/٣٠٥) من انه ذيل لتاريخي ابن يونس المصري دون تفصيل وما ذكره السخاوي في الاعلان بالتوينخ (ص ١٣٠) من انه ذيل لها معاً ويختلف مع ما ذكر ابن زولاق (في الولاة والقضاة للكندي ص ٥٨٥) من

ان له كتاب الغريب و ذكر ترجمة شخص محلها في القسم المخروم من كتابنا . ويعتقد
بروكلان ان ذيل تاريخ مصر غير كتابنا هذا (٥٧١/١ GALS) ولعل اختلاف
الاسم دعاه الى ذلك .

يترجم الكتاب للمصريين او من وردوا الى مصر من المحدثين والرواة خاصة ويرد
فيه حيناً ذكر الشعراء والفقهاء والمعدلين والمعلمين والمؤدبين والقضاة والنحويين والمؤرخين
والوراقين من أهل السنة . وهو مرتب على حروف المعجم لأسماء العلماء ، لكن ترتيبه
غير مضبوط فقد يرد اسم جناح قبل جعفر وحبيب بعد حمدان ولكن لا غلط في
ترتيب الحرف الاول من الاسم . والتراجم مختصرة ، يذكر المؤلف اسم العالم بالتفصيل
وان كان عرفته قال عرفته والا قال حدثت عنه وقد يذكر تاريخ الوفاة وبورد
بعض قصص وبذكر أشعاراً بالمناسبة . واغلب العلماء الذين ترجمهم ممن عاشوا في
القرن الرابع غير ان منهم من عاشوا في القرن الثالث بل اوائله كعلي بن عبد الله
الحضرمي ولد بمصر سنة ١٨٠ وتوفي سنة ٢٤٥ (و : ١٩٠) وكان يجب الا ترد هذه
الترجمة فيه بصفته ذيلاً لابن يونس ولعله ذكرها لانها املت في ابن يونس . وقد
الف الكتاب بعد سنة ٤١١ فقد ذكر علماً توفي في هذه السنة (و : ٢٥٠) واكثر
التراجم التي وردت فيه مهمة في كتب التواريخ المطبوعة ، وكذلك فالكتاب يكشف
عن تراجم علماء مصريين مجهولين .

ونقل على سبيل المثال تراجم الشعراء الذين ورد ذكرهم
و : ١٣ : احمد بن محمد بن عبدربه الشاعر بالاندلس يكنى ابا عمر حدثونا عنه
و : ١٢ : الحسن بن علي بن احمد بن وكيع بن خلف الشاعر ابو محمد اصله
بغدادى ومولده هو بتنيس سمعت منه

و : ١٥ : الخليل بن احمد الشاعر ابو القاسم توفي في جمادى الاولى سنة ثمان
 وخمسين وثلاثمائة انشدني الخليل بن احمد لنفسه

يا خالق الخلق انت لي جارُ وانت للمذنبين غفار

فأرحم عبيداً أناك معترفاً خاطئاً له بالذنوب أقرار
ان تعف عنه فالخالد مسكنه وان تعاقب فداره النار
وأشدني الخليل لنفسه

شيب الفتى موت له عاجل يأتيه موت بعده آجل
فعمره عنه به راحل والموت في ساحته نازل
من لم يزل عن ملكه طابعا فالملك عنه عنوة زابل

و: ١٧^٢: سعيد بن أحمد بن محمد بن عبده الشاعر مولى بني أمية يكنى أبا عثمان حدثونا عنه .
و: ٢٢^١: عثمان بن حجاج بن بوصف الخولاني الشاعر أبو عمرو ، توفي في صفر
سنة ست وستين وثلاثمائة سمعت منه ، أشدني عثمان بن حجاج لنفسه

سلام على الأيام يوم حصلنا على شرجع جوف القلب توارى ^(١)
وتوحش دار بعد انس بأهلها بمحدث ليل ماتنا ^(٢) ونهار

اول الفسحة

و: ١^٢: عونك اللهم قال أبو القاسم يحيى بن علي ٠٠٠ باب إبراهيم ، إبراهيم بن
عبد الله بن محمد بن يحيى المعافري
و: ١٧^٢: تم الجزء الأول من الأصل

آخره

و: ٣٠^٢: محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبيد البزاز
فالكتاب غير كامل ينقصه من الاسماء ما يقارب الثلث ولم يرد فيه من اسماء
المحمديين الا اربعة .

وصف النسخة المخطوطة

المخطوطة في حال حسنة الا انها كما رأينا مخرومة وتجليدها في المجموع الذي الحقت

(١) في الأصل سرجع ولا معنى لها ، والترجم : النش ، والقلب : البشر أو العادة القديمة
منها (القاموس) ومنه هنا القبر (٢) لهما « تارة » .

يدل على أنها كانت ناقصة مذ كانت في الخزانة العمرية قبل سنة ١٢٩٧ هـ . ورقها اسمر متين ، عدته ثلاثون ورقة ، ابعاده ١٨/١٤ سم ، عدد اسطره يختلف بين ١٧ الى ٢٠ سطراً ، ويبلغ هامش الكتاب ثلاثة سنتيمترات . خطها مقروء منقط على الغالب ومضبوط في بعض محاله . وفي النسخة بعض أغلاط في النقل اشير اليها بإشارة خاصة بخط ناصل يغلب ان يكون من قلم محمد الذهبي ، وصححت حيناً واهمل حيناً نصحيحها . وبمقابلة النسخة ببعض نصوص من الكتاب وردت في معجم البلدان لا سيما ٦٧٦/٣ تبين وجود بعض الاختلاف البسيط في النص عما نقل عن الكتاب . الخط كبير الحرف وقد كتبت اوائل الاسماء بخط كبير ليهتدى اليها والكتابة متتابعة دون فاصل اللهم الا في الاشعار فقد خصصت لها اسطر خاصة .

كتبت النسخة قبل سنة ٦١٦ او ٦١٩ لأنه توفي في احديهما ابن الانماطي الذي ملك الكتاب .

وورد في الورقة الاولى الوجه الاول مايلي ولعل كل ذلك بخطوط العلماء المذكورين :

فرغ منه محمد بن [احمد بن عثمان بن قايماز] الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨)

طالع وائتقى منه احمد بن احمد بن عبد الهادي

لخصه يوسف بن عبد الهادي (٨٤٠ - ٩٠٩)

علق منه محمد بن المحب ومحمد بن سند

ملك القاضي الفقيه . . . نقي الدين ابي الطاهر اسماعيل بن [عبد الله] الانماطي

(توفي سنة ٦١٦ او ٦١٩)

وقفه وجميع كتبه واجزائه الشيخ المحدث ابو الحسن علي بن مسعود بن نفيس [سنة ٦٦٧ كما اشار الى ذلك بخطه في و : ١ من مخطوط الظاهرية رقم حديث ٣٣٩]

وكان وقفه في دار الحديث الضيائية ومنه انتقل الى العمرية ومن العمرية الى الظاهرية .

ونسختنا هي الوحيدة التي ذكرها بروكلمان

مخطوطات ومطبوعات

الاسلام والحضارة العربية

تأليف الأستاذ محمد كرد علي

طبع في مطبعة دار الكتب بدمشق ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٤ - ١٩٣٦

هذا كتاب كبير يقع في مجلدين يقرب عدد صفحاتهما من الألف ، خصه مؤلفه الجليل بالبحث في الاسلام والحضارة العربية بحثاً مسهباً مترعاً بالأخبار والاسرار حتى غدا مرجعاً في هذا الباب .

وموضوع الكتاب ذو قيمة وشأن . ما أحسب أن أحداً عني به قدر ما عني به الاستاذ المؤلف ، وما أحسب ان عالماً حفل باظهار حضارة الاسلام ومرد الدلائل عليها ، على الوجه الذي اظهرها هو فيه ، لأن ثبوت ثبوت هذه الصفحات الناصعات من تاريخ العرب ، والجلالة عن آياتهم البينات في الحضارة بتطبيقات بسيطة في العلم وصحة في النظر ، وذلك مالا يتميها لكل انسان ، دع عنك ما يستدعيانه من جهد دائم وما يتطلبانه من وقت طويل .

وقد تناول الاستاذ بالبحث طائفة من الموضوعات الهامة ، فذكر في المجلد الاول منازع الناقمين على الاسلام وناقديه ، اشباه رنان وجانو وغيرهما . وجلّى عن الشعوبية في الشرق والغرب فعرّفها وردّ على أهلها ، وفصل المسائل التي يرددونها الشعوبية كالقرآن والطلاق والحجاب والربا والرق والمسكرات . ودفع دسائسهم فيها . وهذا الفصل من امتع فصول الكتاب .

ثم بين المؤلف حالة العرب قبل الاسلام . وما اصبحوا عليه في دينهم الجديد ، والأشادي التي امتازوا بها ، وسرد رأي لويون ودوزي وغيرهما في الفتوح العربية ، وتكلم على ثروة العرب وعلومهم ، وأوضح أثر اللغة العربية في لغات الشرق والغرب ، وحالة اوروبا في شباب الاسلام ، وأثر علوم العرب في اوروبا ، وما كان للمسلمين والعرب من فنون ، وما كشفوه واخترعوه ، مستشهداً على ذلك بأقوال اساطين الغرب

وعلمائه ثم تطرق الى ذكر مدينة العرب في الاندلس وما نشأ عنها من علم وورقي وعمران
ثم أوضح اثر العرب في صقلية ومدنيتهم التي تركوها فيها ، وكان ذلك مجهولاً لايعلمه
الا القليل ، وانتقل الى البحث في الحروب الصليبية ، ومجازر اهلها وأثرهم في المسلمين ،
وأثر المسلمين فيهم ، وسياسة صلاح الدين ، وهذا الفصل مترع بالأخبار واذكر اني
سلخت زمناً في قراءة ما كتب عن الصليبيين ، فما وجدت بحثاً اكثر سعة واوفر
مادة مما كتبه المؤلف .

اما المجلد الثاني فيبحث في العلوم والمذاهب في الاسلام كمنشأة علم الحديث وعلم
الكلام والتصوف والفلسفة والادب ، وميلاد الفرق الاسلامية ، وما لقيه العلماء من
عنت واضطهاد في نشر أفكارهم ومذاهبهم . ثم بحث في الادارة الاسلامية فتناول ذكر
الادارة عند كل خليفة منذ عهد الرسول الى زمن العثمانيين . وقل ان تجرد مثل هذا الفصل
في سعته واستقصائه وغزارة أخباره وأردف ذلك يبحث مطنب عن السياسة زمن
الرسول والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس والمماليك والعثمانيين .

والمؤلف في هذا كله يبدو حافل الخاطر يتدفق تدفق ينبوع الثر . لا يدعك
تقرأ خبراً حتى يردفه بآخر . ولا يكاد يجلو أمراً حتى يلحقه بثان ، بأسلوب مرسل
تترقق فيه السلاسة والسهولة والصفاء ، وبايضاح لا تدليس فيه ولا موالسة هذا مع
تنبيه على الدسائس ودحض للهواجس وتجرد من العواطف وبعد عن الأوهام .

لا جرم أن هذا الكتاب من العيون التي يحتاج اليها الشباب المتأدبين ولا يستغني
عنها الشيوخ العلماء . أما الشباب فيجدون فيه ما جهلوه من الاسلام وحفول تاريخه
وسمو تراثه . وأما الشيوخ فلا يعدمون فيه مرجعاً وسنداً ، وليت شعري من ذا الذي
يكتب له أن يقرأ مؤلفاً فيه زبدة ستاية كتاب ما بين مخطوط ومطبوع ونادر فلا
يسارع اليه ولهان ، او بقدر له أن يقطف في كتاب ثمرة سنين طوال حافلات بالدرس
والمطالعة فلا يبادر نحوه عجلاً ؟

العقد الفريد

جزؤه الأول

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ م
بتصحيح الأستاذة : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري

لا يخفى على كل متأدب ان العقد الفريد لابن عبد ربه من أهم كتبه الأدب وأنه اجمعها لفرائده ونوادره . وان طبعاته السالفة ملئت خطأ وتحريفاً . وان الحاجة ماسة الى إعادة طبعه طبعةً صحيحةً ثلاثم منزلة . وتفي بحاجة الطلاب الذين أدخل هذا الكتاب في برامج مسابقاتهم الامتحانية — كل ذلك جعلنا نرحب بهذه الطبعة الجديدة ونقول ها قد تحققت الأمنية . وعثر على الضالة ،

وصفحات هذا الجزء تبلغ ٤٧٦ صفحة ذات قطع كامل . منها نحو ربعها يتضمن استدراكات وفهارس في المطالب المختلفة . أما العناية بالطبع والورق وجودة الحرف والتصحيح والتعليق فقد وثق بها القارىء وثوقه بلجنة التأليف التي طبعته . و (حياة) الأستاذة التي صححته . على أن ذلك كله لم يحل دون وقوع أخطاء تفتن لها (استاذ جليل) فهو يتبناها وينشرها مقالات في مجلة (الرسالة) . وقد اطلعنا من تلك المقالات على ما نشر في أعداد (٣٩٩) و (٤٠١) و (٤٠٣) و (٤٠٧) من السنة التاسعة . ومن ثم أهملنا في مقالنا هذا التعرض لشيء من تلك الأخطاء وتصحيحها بمحليين القارىء الحريص الى مقالات (الاستاذ الجليل) المذكورة . اللهم إلا ما عثرنا عليه عفواً ونحن نتصفح الكتاب : من ذلك ما جاء :

في ص ١٤١ قول المصححين في تعليقهم على شعر عمرو بن معدى كرب (أعاذل عدتي بزّي ورمحي) قالوا إنه جاء في الأغاني هكذا (أعاذل عدتي بدني ورمحي) و (بدني) تحريف اه أقول لالتحريف ولاتصحيف فان البدن معناه الدرع فكان الشاعر يقول (أعاذل عدتي درعي ورمحي) أما في الرواية الأخرى فهو يقول (عدتي سلاحي

ورمحي (وليوازن القاري بين الروایتين ان شاء . قال ابن سيده : البدن الدرع القصيرة على قدر الجسد . وقيل هي الدرع عامة . وبه فسر ثعلب قوله تعالى (فاليوم نجنيك ببدنك) قال بدرعك . وذلك أنهم شكوا في غرق فرعون فأمر الله عز وجل البحران بقذفه على دكة في البحر ببدنه اي بدرعه فاستيقنوا حينئذ أنه قد غرق لأن الدرع درعه .

وفي ص ٣٧٢ ذكر صاحب العقد قول الشاعر في عبد الله بن طاهر

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً من شاذياخ ودع غمدان للين

أقول صوابه (في شاذياخ) وشاذياخ بستان الممدوح فالشاعر يقول له اشرب فيه كما هو في الرواية الأخرى (اشرب هنيئاً . . . بالشاذياخ) على ان هذا الشاعر سيفه قوله هذا إنما حذا حذو الشاعر الأول الذي قال في سيف بن ذي يزن :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في قصر غمدان داراً منك محلاً

ومثل قول هذين الشاعرين القول المنسوب الى يزيد بن معاوية

اذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً في دير مرأى عندي ام كلثوم

وكلمة (مرتفقاً) الواردة في هذه الأشعار تصحفت الى (مرتفعاً) بالعين وهو

خطأ وصوابه القاف . ولكن ما معنى (مرتفقاً) بالقاف ؟ فسر مصححو العقد (مرتفقاً)

بقولهم (ثابتاً دائماً) والصواب أن تفسر بما فسرناها به الشراح وأرباب المعاجم وهو متكئاً

على مرفق يدك أو على مرفقك أي وصادتك وهي جلسة الرفاه الوادع أو المتكبر المتعظم .

راجع اللسان في مادة (رفق) ص ٤٠٩ أما ما جاء في التاج في مادة (رفق) وهو قوله

(وارثق اتكأ على مرفق يده أو على المخذة . وامتلاً . والمرثق الوائف الثابت الدائم) فالعبارة

الأخيرة منه لم نجد لها في غيره وهي مقحمة في جملة كلام ليس من أصل التاج وإنما هو هامش

أو تعليق دخيل عليه فراجع . ولو صححت العبارة لكان المعنى اشرب يا ابن ذي يزن في

قصرك أو يا ابن طاهر في بستانك واقعاً ثابتاً دائماً !! وهذا قول هراء لا طعم له .

وفي ص ٢٤٠ قوله (ضراعة صنه وحدائمه مولده) فسر المصححون (ضراعة سنه)

بمعنى (شبابه) وكلمة (ضراعة) لا تكون بهذا المعنى وإنما هي مصحفة وصوابها (خراعة

سنه) بالغاء المعجمة : في اللسان ان الخراعة اللين من قولهم امرأة خريع أي شابة ناعمة لينة . وقال الأصمعي (الخريع) هي المرأة التي تثني من اللين . والخريع أيضاً الغصن لنعته وثنيته . وامرأة خروعة حسنة رخصة لينة . قال ابو النجم (فهي تمطي في شباب خروع) ١٥ والسن معناها العمر فعنى خراعة سنه أنه في لين ورخوصة ونعومة من عمره . وفي ص ١٢٩ يقول الشاعر (اذا هاب اقوام تجشمت كلها) وهي إحدى روايات هذا البيت وقد قال المصححون ان قوله (تجشمت كلها) لا معنى له . والحق أن له معنى إذ (الكل) هنا يفتح الكاف وتشديد اللام بمعنى ثقلها أي ثقل الحرب وعيبتها كما في رواية (تجشمت هوها) والتجشمت التكلف . فكان الأجدر ان يقال (إن قوله (تجشمت كلها) له معنى لكنه لا ينظم أو لا ينسجم مع الشطر الذي بعده وهو قوله (بهاب حياها الألد المداعس) .

وفي ص ٢٨ قال المصححون (استكفيت أي وليت الا كفاء) وصوابه الا كفاء جمع كفي . كفني . أما الا كفاء فجمع كفؤ بمعنى مثل ولا يجي منه فعل على وزن اسفعل بهذا المعنى . وفي ص ٣٣ قال المصححون في تفسير قول الشاعر (فلم يترك لها سبد) مانصه (السبد الشعر ويكنى به عن الإبل ؟ كما يكنى بالوبر عن الغنم ؟ فيقال : ماله سبد ولا لبد . أي ذو وبر ولا صوف متلبد يريد إبلاً وغنماً بنصه اه) وهذا الكلام كتب بهجلة وتحريره أن يقال (السبد الشعر وهو المعز . كما أن الوبر للابل . والصوف واللبد للغنم . وقولهم ماله سبد ولا لبد بمعنى لا يملك شيئاً من شعر ولا صوف وهو كناية عن الفقر أو المعنى انه لا يملك شيئاً من ذي سبد ولا ذي لبد أي لا يملك معزاً ولا غنماً) . هذا ومن كان حريصاً على تصحيح نسخته التي اقتناها من هذه الطبعة النفيسة

فليرجع الى مقالات (الاستاذ الجليل) المنشورة في الرسالة فإن فيها غناء

ومجلة المجمع تشكر لحضرات الناشرين والمصححين عنايتهم بإيراد هذا الكتاب

وتستزيدهم من العناية في تصحيح الأجزاء الباقية

المغرب

آراء وانباء

استدراك ورجاء

حول كتاب الاجابة

ذكر في ما نشر عن كتاب «الاجابة لايراد ما استدر كته عائشة على الصحابة»^(١) بدين علي، أرى من حق العلم أن أنوه بصاحبيه في هذه المجلة اعترافاً بفضلها وغيرتها على الحديث الشريف :

أما الأول فهو الشيخ سليمان الديواني الذي قرأ الكتاب بامعان وتحري وقابل النقول بالأصول التي عزا اليها الزر كشي ثم نيهني الي :

١ - ص ١١١ س ٨ قوله : « لم ينزل البلاء بالرسل حتى خافوا ٠٠٠ الخ » صوابه « لم يزل ٠٠٠ الخ »

٢ - ص ١٢٨ قوله : « هم الذين يكتزون ٠٠٠ » صوابه « هم الذين يكتوون ٠ »
وأما الثاني فهو العلامة الاستاذ كرككو الذي انتدب الي خدمة النسخة فور وصولها إليه ، ثم كتب الي كتاباً عنها ، اقتطف منه فقرة النقد فقط لما فيها من فوائد في أما كن بعض كتب الحديث الأهميات ، قد تعني المشتغلين بهذا العلم ، قال : « ٠٠٠ إنكم مع جودة التهذيب وإتقان النشر ومهتم في عزو كتاب المسند للبزاز إذ هو بلا شك ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار - بالزاي ثم بعد الألف الراء - المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر أنساب السمعاني) وقد حمل الي وقت إقامتي في الهند ، العالم عبد اللطيف الحارزي نزيل مدينة (لكنو) مجلداً فيه الجزء الثالث من هذا المسند ، وأعتقد أن أجزاء أخر موجودة في خزائن اسنانبول .

و ص ٣٨ سطر ٣ اللغوي المذكور هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثاني المتوفى سنة ٤٤٢ .
و ص ٦٢ سطر ١٣ كتاب (ايضاح مالا يسع المحدث جهله) فهو موجود في عدة

نسخ في لندن واستانبول وبانكيور ورامپور من بلاد الهند (انظر بروكلن ١ وتكملة ٦٣٣/١) والمؤلف هو المياشي بالياء المنشأة نسبة الى قرية في إفريقية .
 أما كتاب المعجم الاوسط للطبراني فهو مفقود سوى المجلد الثالث وهو الأخير
 فمن نسخة قديمة في خزانة كوبرلي زادة باستانبول ولكن لأعرف ما يضمن هذا المجلد .
 وفي ص ١٣٣ سطر ١٧ وص ١٣٤ الخ الراوي عن ابن مسعود هو جابان بالجيم كما
 هو مضبوط في كتب الرجال « . . . »

ومع أن أكثر هذه التصويبات مطبعية لا تعدو النقطة فان القاري لا ينتبه الى صوابها ، وليس يسع المرء الا إكبار خدمة العلم المخلصين وشكرهم من أي ملة كانوا .
 هذا وفي الكتاب مواضع تركت يضاء لأن خط المؤلف فيها كان كهذا الذي يكتبه الاطباء باللاتينية الى صيادلتهم ، وقد أعوزتني المصادر التي نقل عنها الامام الزركشي وخاصة كتاب شعب الايمان للبيهقي لم أر أحداً يعرف له وجوداً .
 فالرجاء ممن استطاع تصحيح شيء عجزنا عنه ان ينهنا اليه وله على ذلك شكر العلم وثواب الله (١)

سعيد الأفغاني

(١) فيما نشر الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عن (الإجابة) ص ١٢٩ (المجلد السادس عشر) أشياء نحتاج إلى استدراك :
 نقولي ص ٥ س ٧ « وعروة وابن الزبير » مقصود لا سهو فيه ، فابن الزبير إذا أطلق انصرف إلى عبد الله وكل من عبد الله وعروة أخذ وروى عن عائشة .
 ونقول عائشة : « أدخل البيت الذي دفن معها عمر ص ٧٢ سطر ١٣ » لا خطأ به وحذف « فيه » منه جائز لفة كما هو معلوم من كتب النحو (انظر بحث الموصول في حاشية الحضري) .
 وقد صورت في النسخة الصفحة الوارد فيها هذا القول . والحديث لا يصح اعتباطاً ولا عنوا الحاضر وانما يرجع فيه إلى دواوينه وتتبع أصوله . ولو رجع الأستاذ البيطار إلى مستدرك الحاكم المطبوع بالهند (ج ٢ ص ٧) لوجد الحديث كما هو مثبت في النسخة تماماً .
 وكذلك قول الأستاذ : والصواب : « أعلى الدلاء من أسفلها » غير صحيح وهذا الحديث ذكر في السط التين ص ٢٢ محرراً أيضاً وانما الصواب فيه : « إن النيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه » أنظر شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٧١
 وصرامة التطق في رسم داوود أولى ، وكل جائز .